

أ.م. د. عمر علي محمد*

Omar Ali Muhamad

omar.muhamad@su.edu.krd

<https://orcid.org/0009-0000-7587-8000>

المخلص

يتناول هذا البحث موضوع بديع الزمان سعيد النورسي في مجال التفسير الإشاري للقرآن الكريم، من خلال دراسة منهجه وتطبيقاته في رسائل النور، بوصفها نموذجاً معاصراً يجمع بين البعد الإيماني والتربوي والتجديدي في فهم النص القرآني. وتتبع أهمية البحث من كونه يعالج أحد المناهج التفسيرية الدقيقة التي تُعنى باستنباط الدلالات اللطيفة والمعاني الباطنة للنص القرآني ضمن ضوابط علمية معتبرة، مع إبراز إسهام النورسي في تطوير هذا اللون التفسيري بما يواكب تحديات العصر ويخاطب القضايا الإيمانية والفكرية المعاصرة. ويهدف البحث إلى بيان حقيقة التفسير الإشاري وحدوده، والكشف عن طبيعة ما أورده النورسي في تفسيره، ومدى انضباطه بأصول التفسير وقواعده، مع تحليل منهجه في استنباط الإشارات القرآنية، وبيان مقاصدها التربوية والإيمانية. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال دراسة مفاهيم التفسير الإشاري، ونشأته، وأنواعه، وضوابطه، ثم تطبيق ذلك على نماذج مختارة من رسائل النور، مع إبراز العلاقة بين النص القرآني والكون، والتكامل المعرفي الذي يؤسس له النورسي. وخلص البحث إلى أن التفسير الإشاري عند النورسي لا يمثل خروجاً عن أصول التفسير، بل يندرج ضمن رؤية إيمانية مقاصدية منضبطة، تسعى إلى تعميق الفهم القرآني، وربط النص بالواقع، وتعزيز البعد الروحي في تلقي الوحي..

Abstract:

This study examines the interpretive approach of Bediuzzaman Said Nursi in the field of **allusive (ishārī) Qur'anic exegesis**, focusing on its methodology and applications in *Risale-i Nur*. It presents Nursi's work as a contemporary model that integrates spiritual, educational, and reformative dimensions in understanding the Qur'anic text.

The significance of this research lies in addressing a subtle and often debated exegetical method that seeks to uncover deeper, implicit meanings within the Qur'an, while adhering to recognized scholarly principles. It also highlights Nursi's contribution to revitalizing this approach in a way that engages modern intellectual and faith-based challenges.

The study aims to define the nature and limits of ishārī exegesis, assess the extent to which Nursi's interpretations fall within its scope, and evaluate their consistency with established principles of Qur'anic interpretation. It further analyzes his methodological framework in deriving symbolic meanings and explores their spiritual and pedagogical objectives.

Adopting a descriptive-analytical method, the research first investigates the theoretical foundations of ishārī exegesis—its definitions, origins, types, and conditions—then applies these concepts to selected examples from *Risale-i Nur*. It also emphasizes the epistemological integration between the Qur'an and the universe, a central theme in Nursi's thought.

Furthermore, the study engages with previous scholarship, particularly the work of Dr. Idris al-Turkawi on the universal principles of ishārī exegesis, identifying both convergences and divergences in methodology and theoretical depth.

The research concludes that Nursi's ishārī interpretations remain within the bounds of orthodox exegesis, representing a disciplined, purpose-oriented approach that deepens Qur'anic understanding, connects revelation with reality, and reinforces the spiritual dimension of interpretation.

المقدمة :

"الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم الترجمان الأزلي لكتاب الكائنات المسطور، والمفسر البين لصحائف الغيب والشهادة، واللسان الناطق بأسرار العالم الغيبي في مشهد الوجود، فهو شمس عالم الإسلام المعنوي، وأساس بنائه، وهندسة نظامه، وهو الخريطة القدسية لمدارج الآخرة ومنازلها، والدليل الهادي الذي يسوق الإنسانية إلى ذرى السعادة والكمال. (١)

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، الذي اصطفاه الله من جنس البشر ليكون البرهان الناطق على حقيقة هذا الوجود؛ إذ يقول سعيد النورسي : إن المعرفين بعظمة الرب سبحانه ثلاثة: كتاب الكون،

(١) ينظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ٢١/٥ و الكلمات : ١ / ٤٤٥.

والقرآن العظيم، وخاتم ديوان النبوة، وهو الرسول الكريم ﷺ^(١)، وعلى آله وصحبه، الذين هم صفوة البشر بعد الأنبياء، وأكملهم فراسةً، وأرسخهم درايةً، وأعلاهم منزلةً، وأشدهم تمسكاً بالدين، وأنفذهم بصيرةً في إدراك الحقائق".^(٢)

أما بعد؛

فإنَّ الدراساتِ القرآنيةَ تظلُّ من أشرفِ ميادينِ البحثِ العلميِّ وأعلاها قدرًا؛ لارتباطها بأصلِ الأصولِ ومصدرِ الهدايةِ الأول، وقد تنوّعتِ مناهجُ المفسرين في تناولِ كتابِ الله تعالى، بين التفسيرِ بالمأثور، والتفسيرِ بالرأي، والتفسيرِ الموضوعي، والتفسيرِ الإشاري الذي يُعنى باستنباطِ المعاني اللطيفةِ والدلالاتِ الدقيقةِ الكامنة وراء ظاهر النصِّ القرآني ضمن ضوابطٍ معتبرة.

أهمية الموضوع:

تتبعُ أهميةُ هذا البحثِ من كونه يتناول أحدَ المناهجِ التفسيريةِ الدقيقةِ، وهو التفسيرِ الإشاري، الذي يُمثّلُ بُعداً روحياً وتربوياً عميقاً في فهمِ النصِّ القرآني، كما تبرزُ أهميته في تسليطِ الضوء على جهودِ الإمامِ بديعِ الزمانِ سعيدِ النورسي، الذي قدّمَ نموذجاً متميزاً في التفسيرِ الإيماني المعاصر من خلال رسائله النورية، حيث جمع بين أصالة المنهج وعمق المعالجة ومواكبة قضايا العصر.

أسباب اختيار الموضوع:

تتجلى أسباب اختيار هذا الموضوع في عدة أمور؛ من أبرزها:

- الشغف العلمي بالدراسات القرآنية، والرغبة في التعمق في مناهج التفسير غير التقليدية .
- إبراز جهود الإمام النورسي بوصفه أحد أعلام التجديد في الفكر التفسيري المعاصر .
- الحاجة إلى دراسة التفسير الإشاري دراسةً علميةً منضبطة، تميّز بين المقبول والمردود .
- بيان كيفية توظيف المعاني الإشارية في معالجة القضايا الإيمانية والفكرية المعاصرة .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن عددٍ من التساؤلات العلمية، من أهمها:

ما حقيقة التفسير الإشاري وحدوده وضوابطه عند أهل العلم؟

إلى أي مدى يمكن اعتبار ما أورده الإمام النورسي في رسائله من قبيل التفسير الإشاري؟

ما المنهج الذي اعتمده النورسي في استنباط هذه الدلالات؟

وما مدى توافق هذه التفسيرات مع أصول التفسير وقواعده المعتمدة؟

(١) ينظر: الكلمات : ٢٦٨ / ١ .

(٢) المكتوبات : ٢٨٠ / ٢ .

الدراسات السابقة:

لقد تناولت عددٌ من الدراسات موضوع التفسير الإشاري من حيث التأصيل والتنظير، كما تناولت دراساتٍ أخرى فكر الإمام النورسي وجهوده الإصلاحية، إلا أن الجمع بين دراسة التفسير الإشاري من جهة، وتطبيقاته عند النورسي من جهةٍ أخرى، لا يزال بحاجة إلى مزيدٍ من البحث والتحليل، الأمر الذي يسعى هذا البحث إلى الإسهام فيه بتقديم هذا البحث العلمي.

وهناك بحثٌ معنون بـ(كليات التفسير الإشاري) عند النورسي (الأسس والمقاصد): د. إدريس التركاوي، المنشور في مجلة (النور للدراسات الحضارية والفكرية)، السنة (٩) العدد (١٧) يناير ٢٠١٨.

ففي كلا البحثين يتبين أنهما يشتركان في الانتماء إلى حقل الدراسات القرآنية المعاصرة، ولا سيما ما يتصل بالتفسير الإشاري عند بديع الزمان سعيد النورسي، غير أنهما يختلفان من حيث زاوية المعالجة، ومنهج التحليل، وعمق التأصيل العلمي.

فبحثنا -الذي أمام القارئ - (الأول): يتجه إلى دراسة التفسير الإشاري عند النورسي من منظورٍ وصفيّ تحليلي، يركّز على بيان طبيعته وحدوده، وتحليل علاقته بالتفسير الإشاري الاصطلاحي، مع إبراز كونه تفسيراً معنوياً شهودياً ذا أبعاد تربوية وإيمانية، كما يعنى بإثبات عدم هيمنة الطابع الإشاري الخالص على رسائل النور، بل اندراجه ضمن رؤية مقاصدية إيمانية معاصرة.

أما البحث الموسوم بـ "كليات التفسير الإشاري عند النورسي: (الأسس والمقاصد)"، (البحث الثاني): فيتميّز بجملة من الخصائص العلمية التي تجعله أكثر عمقاً وتأصيلاً، من أبرزها:

١- الانتقال من الجزئي إلى الكلي: إذ لا يقتصر البحث الثاني السابق على وصف الظاهرة التفسيرية، بل يؤسس لها من خلال بناء نظرية كلية متكاملة، قائمة على مبدأ تكامل العلوم، وربط التفسير الإشاري بالكليات القرآنية والكونية والإنسانية، وهو ما لم يتناوله البحث الأول اللاحق ذلك بهذا العمق .

٢- التأصيل المنهجي المركّب: يتميّز البحث الثاني للدكتور التركاوي بإرساء أصول منهجية دقيقة للتفسير الإشاري عند النورسي، قائمة على ثلاث دعائم كبرى: الأساس القرآني (اللغوي والمقاصدي) والأساس الوجودي (الكوني) الأساس الإنساني (الاستعدادي الإدراكي)، وهذا البناء الثلاثي يمنح الدراسة طابعاً نظرياً متماسكاً، بخلاف بحثنا هذا الذي ركّز على البعد التفسيري دون هذا التفصيل البنيوي .

٣- إبراز مبدأ تكامل المعرفة: ينفرد البحث الثاني بتأكيد فكرة تداخل العلوم (اللغة، البلاغة، المقاصد، التصوف، المنطق)، واعتبارها روافد متكاملة في بناء التفسير الإشاري، مما يضع هذا النمط التفسيري ضمن إطار معرفي شامل، لا مجرد اتجاه تفسيري جزئي .

٤- تحويل التفسير الإشاري إلى نظرية معرفية: لا يعالج البحث الثاني التفسير الإشاري بوصفه تطبيقات أو شذرات ذوقية، بل يسعى إلى تعديده كنظرية علمية لها أسس ومقاصد وقوانين، وهو تطور نوعي يتجاوز الطابع الوصفي في البحث الأول .

٥- التركيز على المقاصد والغايات: يبرز البحث الثاني المقاصد الكلية للتفسير الإشاري، مثل: مقصد التناسب والجمال ومقصد التوحيد واستجلاء الحكمة الإلهية و بيان البعد الوجودي والإيماني للكون

بينما اكتفى البحث الأول بالإشارة إلى الأبعاد التربوية والإيمانية دون تفصيل مقاصدي موسّع .

٦- الربط بين النص والكون (المسطور والمنظور): من أبرز ما يميّز به البحث الثاني تعميق العلاقة بين القرآن والكون، بوصفهما مصدرين متكاملين للفهم، وهو ما يشكّل محوراً مركزياً في فكر النورسي، وقد عالجه البحث الثاني معالجة تنظيرية دقيقة، بخلاف المعالجة الجزئية في البحث الأول .

٧- العمق الفلسفي والتحليلي: يتسم البحث الثاني بنقّسٍ فلسفيّ تحليلي واضح، يتناول الإشكالات المعرفية للتفسير الإشاري، مثل إشكالية التصوف، وحدود التأويل، وضبط الإشارات، مما يجعله أقرب إلى الدراسات التأصيلية العليا، في حين يغلب على البحث الأول الطابع التقريري التحليلي .

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين رئيسيين، على النحو الآتي:

المبحث الأول: التفسير الإشاري (تعريفه، نشأته، أنواعه، وحكمه)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير الإشاري لغةً واصطلاحاً .

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بالتفسير الإشاري، ونشأته، وخصائصه، وأهم المؤلفات فيه .

المطلب الثالث: أنواع التفسير الإشاري وأحكامه، وآراء العلماء فيه، مع بيان ضوابط القبول وشروطه .

المبحث الثاني: منهج الإمام النورسي في التفسير الإشاري للقرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج النورسي في تفسير القرآن الكريم .

المطلب الثاني: نماذج من التفسير الإشاري في رسائل النور، ويضم قسمين :

القسم الأول: إشارات تفسيرية مستنبطة من معجزات الأنبياء في القرآن الكريم .

القسم الثاني: أنواع تتعلق بالإخبار عن الغيب ضمن آيات من ختام سورة الفتح .

المطلب الثالث: مقاصد التفسيرات الإشارية والرمزية في القرآن وعلاقتها بالمكتشفات المعاصرة .

وفي الخاتمة، عرض الباحث جملةً من أبرز النتائج التي توصل إليها، سائلاً الله تعالى القبول

والتوفيق، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً للباحثين والدارسين، إنه وليّ ذلك

والقادر عليه.

المبحث الأول/ التفسير الإشاري (تعريفه، نشأته، أنواعه، وحكمه)

المطلب الأول / تعريف التفسير الإشاري

أولاً: لغة التفسير لغة :

والتفسير: مصدر على وزن (تفعيل) وفعله الماضي: رباعي مضعف (فَسَّرَ) تقول فَسَّرَ يَفْسِّرُ تفسيراً، مأخوذ من (الفسر) وهي بمعنى: بيانُ الشيء وإيضاحه، كما قاله ابن فارس (ت/ ٧١١هـ) في مقياس اللغة، وكذلك بمعنى: إيضاح المعنى المعقول، فالتفسير: المبالغة في الفسر، كما قاله الراغب (ت/ في حدود ٤٢٥) في المفردات^(١).. وأيضاً: البيان مطلقاً، يقال فَسَّرَهُ أي أبانه كما قاله ابن منظور (ت/ ٧١١هـ) في لسان العرب^(٢)..

ولم ترد لفظة (التفسير) إلا مرة واحدة في سورة الفرقان عند قوله: [وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جُنُودًا بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا]^(٣). أي بما هو أحسن بياناً^(٤)..

أما الإشارة والرمز ، فالإشارة: لغة بمعنى العلامة والإيماء، بمعنى اختيار أمر من الأمور قولاً وعملاً ورأياً ، ومنه: "أَشْرَ يُوَشِّرُ، تَأَشِيرًا، فهو مُؤَشِّرٌ، والمفعول مُؤَشَّرٌ علي، وَأَشَّرَ على الطَّبِّ: وَقَّعَ عليه."^(٥) بينما كلمة الرمزي منسوب إلى (الرمز): قال الراغب: "الرمز: إشارة بالشفة، والصوت الخفي، والغمز بالحجاب، وعبر عن كل كلام كإشارة بالرمز كما عبر عن الشكاية بالغمز، قال تعالى: [قال: آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا] (آل عمران/٤١)"^(٦)..

وفي الاصطلاح : هناك مفردات لا بدّ من تعريفها منفرداً ثمّ ناتي على التفسير الإشاري مركباً :
أولاً: التفسير بإطلاقه اصطلاحاً: عبارة عن " تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة تظهر لأرباب الصفاء، مع عدم إبطال الظاهر، هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السؤل والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً"^(٧).

و يقول الراغب الأصبهاني(ت/ في حدود ٤٢٥هـ): "الفسر: هو " إظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالفسر، والتفسير: قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها. قال تعالى: [وأحسن تفسيراً]"^(١) ،

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٥٥٢/٢ .

(٢) لسان العرب: ٥٥ / ٥.

(٣) سورة الفرقان: / ٣٣ .

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم : ٦٤٤ .

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة : ٩٨ / ١.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٩٩.

(٧) مناهل العرفان : ٥٦ / ٢ ، وينظر: التبيان في علوم القرآن للصابوني: ١٩١.

وكذلك بدرالدين الزركشي(ت/ ٧٩٤ هـ) في البرهان، إذ يقول : " هو علم يُفهمُ به كتابُ الله المنزل على نبيه محمد ﷺ واستخراجُ أحكامه و حكمه".^(٢) والفناري(ت/ ٨٣٤ هـ) يعرفه بقوله : هو "معرفة اصول كلام الله تعالى من حيث دلالته على ما يُعلم أو يُظن أنه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"^(٣)، وابن عاشور(ت/ ١٣٩٣ هـ) يقول في (التحرير و التنوير) : التفسير "هو اسمٌ للعِلْمِ الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن ، وما يُستفادُ منها باختصار أو توسيع".^(٤) ..
والذي يلاحظ في تلك التعريفات الاصطلاحية للتفسير :

أن التفسير جهد مفسّرٍ حقيقي لآية أو آيات قرآنية محاولة منه للوصول الى مراد كلام الله تعالى، بقدر طاقاته العلمية والبشرية، والجهود إما مختصرة موجزة أو مطولة وموسعة.

ثانياً : الإشارة: هي "الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام، ومنه (إشارة النص)^(٥): والإشارة قد تكون حسية كما هو الحال في ألفاظ الإشارة، وقد تكون ذهنية كالإشارة للمعنى في الكلام، وهي إما أن تكون ظاهرة وقد تكون خفية. كما تطرق إليه الجرجاني(ت/ ٧٤٠ هـ) بقوله : هو "العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة ، لكنه غير مقصود، ولا سيق له النص"، كقوله تعالى: [وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ] سيق لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء..^(٦)

أما التفسير الإشاري (التفسير بالإشارة) مركباً: هو " تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضاً"، علماً بأن الصوفي لا يرى أن التفسير الإشاري هو كل ماتحتمله الآية، وإنما بما تحويه في باطنها من إشارات خفية لا يدركها إلا أصحاب الكشف وأرباب السلوك والمدارج، وتلك حقيقة العرفان، ولذلك هؤلاء الأرباب لا ينكرون العمل بالظاهر، ولكن إلى جانبه توجد أسرار الباطن التي لا يطلع عليها أرباب الحقائق " كما تطرق إليه الزرقاني ، وأورده الصابوني لكن بتعبير مختلف^(٧) ..

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٥٥٣/١ (مادة : فسر). (سورة الفرقان/ ٣٣)

(٢) البرهان في علوم القرآن : ١ / ١٣ .

(٣) علماً بأن الفناري : هو محمد بن حمزة بن محمد شمس الدين الفناري أو الفنري الرومي (٧٥١-٨٣٤ هـ/ ١٣٥٠-٤٣١ م)، عالم بالمنطق والأصول، ولي قضاء بروسة، وارتفع قدره عند السلطان بازيدخان، وحج مرتين، من مؤلفاته فصول البدائع في أصول الشرائع، جمع فيه أصول البيزودي ومحصول الرازي ومختصر ابن الحاجب، وشرح على الرسالة الأثيرية في المنطق. ينظر: ترجمة حياته في مقدمة فصول البدائع. ينظر: تفسير الفاتحة للفناري.

(٤) التحرير والتنوير : ١ / ١١ .

(٥) التعريفات للجرجاني: ١ / ٢٧ ..

(٦) ينظر: التعريفات للجرجاني: ١ / ٢٧ ..

(٧) ينظر : مناهل العرفان : ٢ / ٨٣ ، و التبيان في علوم القرآن: ٢٠

فالإشاري نوع من تفسير القرآن الكريم ينتمي إلى نمط معين من الفهم، وهو فهم معاني الكلمات، وقد لا تظهر للوهلة الأولى، وإنما تحتاج لتدبر وتأمل، وهذه المعاني تكون من إشارات الآيات وتظهر لأرباب السلوك وأولي العلم.

فهو تفسير يشير إلى التأمّلات التي تحصل عن طريق ما يفتح في ذهن المفسر العارف من الأمور اللطيفة التي لها ربط ومناسبة مع ظواهر الآيات القرآنية، غير أنه يفسر ويؤول على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي^(١).

فالتفسير بهذا المعنى موافق للشرع والعقل وغير مخالف لهما، بل هو إلهام و انشراح صدري وجهد عقلي من حيث التدبر في معاني الآيات ، وما ينطبق منها على الأنفس والآفاق المرتبطة بالألفاظ وسياق الأسلوب، حيث أن التدبر الكامل لفهم القرآن يعتمد على تلك التأمّلات والتفسيرات الثلاث للقرآن الكريم ، والذي صرح به الإمام النورسي بالبراهين الثلاثة: الكتاب التدويني - المعبر عنه (الكتاب المقروء)، والكتاب الأفقي المتمثلة ب(كتابي الكون و الأنفس) في رسائل الإمام النورسي.

المطلب الثاني

ألفاظ ذات صلة بالتفسير الإشاري ونشأته وخصائصه وأهم المؤلفات فيه

أولاً: مصطلحات ذات صلة بالتفسير الإشاري فهي :

(التفسير التأويلي، التفسير الفيضي، التفسير الباطني، التفسير الصوفي، التفسير العرفاني،

التفسير النظري، التفسير القياسي ، التفسير المعنوي)

هناك ألفاظ و مصطلحات أوردها العلماء وتناولوها في مؤلفاتهم ودراساتهم إما كألفاظ مترادفة، أو متقاربة أو مختلفة متناقضة سيما الباطني الذي تصدى له الأكابر من العلماء للانحرافات الواردة ل(الباطنية)، ولذلك نجد شروطاً وضوابط لئلا يلتبس على الناس بين الصحيح والسقيم، بل بينوا الفروق والتباين الشاسع بين المسائل الإشارية المأخوذة من آيات القرآن الحكيم وضلالات البعض ، الحادّين عن الحق والمائلين للأهواء والأباطيل.

وقد تطرق الشيخ محمد حسين الذهبي إلى بيان اتجاهين من هذه المسميات التفسيرية قائلاً : "هناك

اتجاهين اثنين لهذا النوع من التفاسير: التفسير النظري والتفسير الإشاري.

فالأول: هو التفسير المبني على نزعة فلسفية، فبعد بيانه لعدد من الأمثلة فيها : يقول: نستطيع أن

نقرر في صراحة واطمئنان: أن التفسير الصوفي النظري تفسير يخرج بالقرآن - في الغالب - عن هدفه الذي يرمى إليه!.. يقصد القرآن هدفاً معيناً بنصوصه وآياته، ويقصد الصوفي هدفاً معيناً بأبحاثه ونظرياته، وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد، فيأبى الصوفي إلا أن يُحوّل القرآن عن هدفه ومقصده، إلى ما يقصده هو ويرمى إليه، وغرضه بهذا كله: أن يروج لتصوفه على حساب القرآن،" معقّباً على كل

(١) ينظر تفاصيل المصطلحين تعريفاً وأنواعاً وأمثلةً في كتب الأصول، منها: أصول الفقه للزحيلي: ٨٠ / ٢، وأصول

الفقه في نسجه الجديد: ٧٦.

ما ورده من الأمثلة بقوله: " ورأيت الذي أدين الله عليه: أن مثل هذا التفسير القائم على نظرية وحدة الوجود ما كان لنا أن نقبله مهما كان قائله، كذلك ليس لنا أن نقبل التفسير الذي أُسس على نظريات الفلاسفة الذين بحثوا في الطبيعة وما وراء الطبيعة، والذي جرى عليه ابن عربي وغيره من المتصوفة في تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية، لا نقبله على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذي جاء القرآن من أجله، وإن كنا نقبله - إن صح - على أنه مما تحتمله الآية ما دام لا يعارض القرآن ولا ينافيه، على أن كل ما جاء من ذلك لا يعدو أن يكون ظنياً، وقد يظهر خطؤه في يوم من الأيام، فكيف نحمل عليه القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟"^(١)

أما الاتجاه الثاني: التفسير الإشاري أو التفسير الفيضي : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المراد، وعلى هذا فالفرق بين التفسير الصوفي الإشاري والتفسير الصوفي النظري - كما يقوله رحمه الله - من وجهين:

الوجه الأول: أن التفسير الصوفي النظري، يبني على مقدمات علمية تقدر في ذهن الصوفي أولاً، ثم يُنزل القرآن عليها بعد ذلك. أما التفسير الإشاري .. فلا يركز على مقدمات علمية، بل يركز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تتكشف له فيها من سجد العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سُحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية. الوجه الثاني: أن التفسير الصوفي النظري، يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تُحمل الآية عليه ..، هذا بحسب طاقته طبعاً. أما التفسير الإشاري .. فلا يرى الصوفي أنه كل ما يُراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويُراد منها أولاً وقبل كل شيء، وذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره"^(٢).

علماً بأن مصطلح الإشاري في تفسير الإمام النورسي يختلف تماماً . دون التعارض والتناقض بل يتباين - عن الإشاري المشهور بين أهل العلم ، بل يتمتع بمنهج علمي رصين، ومؤصل دلالاته المأخوذة من الآيات القرآنية في إشارات علمية التي كشف الله له من خلال تفسيره لمعجزات الأنبياء وآيات سورة الفتح كما سنأتي عليه لاحقاً.

ثانياً: نماذج من التفاسير الإشارية:

ومن أهم كتب التفسير الإشاري : (تفسير القرآن العظيم) للسهل التستري (ت/ ٢٨٣هـ) و (تفسير ابن عربي) للشيخ محي الدين بن عربي(ت/ ٦٣٨هـ) في(تفسير القرآن الكريم) تفسير نظام الدين النيسابوري(ت/٧٢٨هـ) المسمى ب(غرائب القرآن و رغائب الفرقان)، وتفسير (روح المعاني)

(١) التفسير والمفسرون : ٢ / ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢ / ٢١٣.

للألوسي(ت/١٢٧٠هـ) ،وكما أورده الزرقاني في مناهل العرفان^(١)، وأيضاً من التفسيرات الإشارية المشهورة : تفسير (حقائق التفسير) لأبي عبدالرحمن السلمي(ت/٤١٢هـ) ، و (تفسير الجيلاني) للشيخ محي الدين عبدالقادر(ت/ ٥٦١هـ)، وتفسير (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الدين البقاعي(ت/ ٨٨٥هـ) في وتفسير(روح البيان في تفسير القرآن) لإسماعيل حقي البروسوي (ت/ ١١٢٧هـ) .

ثالثاً: نشأة التفسيري الإشاري:

لم يظهر التفسير الإشاري - كما هو المشهور والمعروف به- حتى القرن الخامس، حينما ظهر كتاب(حقائق التفسير) للسلمي(ت/ ٤١٢ هـ)، و(لطائف الإشارات) للقشيري (ت/ ٤٦٥هـ)، وإن كان القشيري قد استنقذ من السلمي فائدة جلية من حيث اتجاهه وآراءه، ومن ثم برز (تفسير القرآن) المنسوب لابن عربي(ت/٦٣٨هـ) ولكنه في الحقيقة للكاشاني السمرقندي^(٢)، ويعد هذا التفسير أهم تفسير إشاري بعد (اللطائف) .^(٣)

رابعاً: سمات التفسيرات الإشارية :

باستقراء متواضع لمقدمات ومناهج التفسيرات الصوفية المنضبطة أو غيرها المشهورة بالإشارية، نجد ان السمة الغالبة للمنهج الروحي التفسيري تتمثل في الأمور الآتية :

- ١- يعتمد التفسير في مؤلفاتهم بالأساس على أن للقرآن حقائق ظاهرية وباطنية، فيقصدون بالظاهر الشريعة وبالإسلام، وبالباطن: الحقيقة والإحسان، فالطريق للأول :علم المجاهدة وعلم الآداب، وللتاني: علم الهداية والأحوال، وقد ذكر السلمي في مقدمة تفسيره(حقائق التفسير) إلى ذلك^(٤) .:
- ٢- أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وحداً ومطلعاً ، كما عند السهل التستري (ت/ ٢٨٣هـ)^(١).

(١) مناهل العرفان : ٨٣ / ٢ .

(٢) فالباحثون مثل الدكتور محسن عبدالحميد : يرون أن "تفسير ابن عربي من عمل عبد الرزاق القاشاني، وإنما نسبت لابن عربي ترويحاً له بين الناس، وتشهيراً له بشهرة ابن عربي،وممن يرى هذا الرأي الأخير: المرحوم الشيخ محمد عبده في مقدمة التفسير التي اقتبسها المرحوم الشيخ رشيد رضا من درسه، ورواها عنه بالمعنى، ووضعها في مقدمة تفسير المنار. وذلك حيث يذكر وجوه التفسير يعد منها التفسير الإشاري، ثم يقول: "وقد اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية، ومن ذلك: التفسير الذي ينسبونه للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، وإنما هو للقاشاني الباطني الشهير، وفيه من النزعات ما ينبأ منه دين الله وكتابه العزيز".ونحن مع الأستاذ الإمام في أن هذا التفسير للقاشاني، لا "لابن عربي". نقلاً عن تطور تفسير القرآن: ٦١

(٣) .. ينظر: التفسير والمفسرون : ٢٢٧/١

(٤) . "لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن من قراءات وتفسيرات ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصل وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفاً أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعي وطاقتي". حقائق التفسير للسلمي(المقدمة) : ٦

٣- الظاهر للعامة، والباطن لا يدركه إلا الخواص، وإدراكهم مستمد من فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم على زعمهم عن معارف لدنية مباشرة كما قال عزوجل: [وعلمناه من لدنا علماً] ^(١) ، وقد قال به القشيري أبو القاسم (ت/ ٤٦٥هـ) في مقدمة تفسيره ^(٢) :

٤- أن العلم بالقرآن على هذا المنوال يتميز عن العلوم القرآنية الأخرى في منطلقه وطرقه ونتائجه، فضلاً في أنه يفترق عن سائرهم بضرورة العمل، فالعالم لا بد أن يكون عاملاً، وعمله هو جهاده الروحي الذي يؤدي به إلى صقل إرادته وتقوية مرآته الباطنية من كل الشوائب الخفية.

ومن خلال الدراسات ونتيجة لها بإمكاننا أن نقول في هذا الصدد:

١- يستخدم مصطلح الإشاري لنوعين من التفسير أولهما: أكثر استعمالاً وشيوعاً، كما في كتب أصحاب التصوف الذين قصدوا ناحية الترغيب والترهيب، واستخراج المعاني الإشارية من الآيات القرآنية بما يتفق مع مشاربهم، ويتناسب مع رياضاتهم ومواجيدهم، ومن هؤلاء ابن عربي، وأبو عبد الرحمن السلمى..

والثاني: استعمالات للإمام النورسي الذي يذكر كلمة الإشارة في التفسير إلى جعل الآية منطلقاً ودستوراً و باباً مفتوحاً لعلمٍ أو غايةٍ كبيرةٍ مشاركةٍ إليها كما سنأتي إليها.

٢- التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على المعاني الباطنية والروحانية، إلا أنه لا تخلو عن بعض ما نقل من الآثار الموجودة أو المذكورة في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي والطريقة الاستنباطية، وتفسيراتٍ تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية، كذلك أنهم لم تسلم هذا النوع من التفسير من الإسرائيليات والاستشهاد بغير القرآن والسنة، ولم تتبع الدقة في تحري الثبوت أو مراعاة التعليق على الأسانيد .

٣- ومن المآخذ التي تلاحظ على ما ينسب إلى التفسير الإشارية: تقبل معاني مذكورة بالصعوبة أو التكلف في تحمّل ما يلتمس لها وجهاً وبمشقة، وأحياناً تصل أمور وعبارات إلى الزندقة أو الانحراف

(١). حيث يقول : " ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معانٍ: ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر: التلاوة والباطن: الفهم، والحد: حلالها وحرامها، والمطلع: إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عزوجل فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد خاص) . تفسير القرآن العظيم (تفسير سهل التستري) : المقدمة : ٣

(٢) سورة الكهف / الآية ٦٥ .

(٣). "وكتابتنا هذا يأتي على طرف من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة، غما من معاني قولهم، أو قضايا أصولهم، سلكتنا فيه طريق الإقلال خشية الملل مستمدين من الله تعالى عوائد المنة، متبرئين من الحول والمنة مستعصمين من الخطأ والخلل، مستصوبين لأصوب القول والعمل". لطائف الإشارات (تفسير القشيري) : خطبة الكتاب .

والكفر إن لم يُثبت أن تلك العبارات والمفاهيم مدسوسة كما وصل إليها الباحثون والدارسون في تفسير ابن عربي الذي دس فيه (الفاشاني الباطني) ^(١).

المطلب الثالث

أنواع (التفسير الإشاري) وآراء العلماء فيه مع بيان شروط القبول عند القائلين به

اختلف العلماء في التفسير الإشاري المشهور بينهم: فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، نظراً لإدعاء ذلك النوع من التفسير من الملاحدة أو الباطنيين كالأئمة (الغزالي/ت/٥٠٥هـ) وابن صلاح الشهرزوري (ت/٦٤٣هـ) وابن تيمية (ت/٦٥٢هـ) والنسفي (ت/٧١٠هـ) والتفتازاني (ت/٧٩٣هـ) والزرکشي (ت/٧٩٤هـ) والزرقاني (ت/١٣٦٧هـ) وابن عاشور (ت/١٣٩٣هـ)، ولذلك نجد أن هؤلاء كلهم متفقون على ضوابط لابد من الانضباط بها، وأقوال هؤلاء الأعلام من العلماء كالاتي:

١- أبو حامد الغزالي (ت/٥٠٥هـ): " ما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك، وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للمطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه، فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً، فأسرار كلمات الله لانهاية لها، فتتدف الأبحر قبل أن تتدف كلمات الله عزوجل" ^(٢) وما أورده الإمام الغزالي مستمد من قوله تعالى: إِنْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا [^(٣) كما يأتي به ابن عاشور . ^(٤)

٢- وقال ابن تيمية (ت/٦٥٢هـ) ^(٥): " إن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها، تنقسم إلى إشارة حالية: وهي إشاراتهم بالقلوب وهي التي يمتازون بها، وإشارات متعلقة بالأقوال: مثل: ما يأخذونها من القرآن ونحوه، فتلك الإشارات من هي باب الاعتبار والقياس والحاق ما ليس بمنصوص

(١) ينظر: تطور تفسير القرآن: ٦٠.

(٢) إحياء علوم الدين: كتاب الشكر: ٨٠/٤.

(٣) سورة الكهف/ ١٠٩.

(٤) حيث يقول ابن عاشور: " فالغزالي: يراه مقبولة، قال في كتابه: إذا قلنا في قوله ﷻ لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة فهذا ظاهره أو إشارته أن القلب بيت، وهو مهبط الملائكة ومستقر آثارهم، والصفات الرديئة كالغضب والشهوة والحسد والحقد والعجب كلاب نابحة في القلب إلا بواسطة الملائكة فقلب كهذا لا يقذف فيه النور، وقال: ولست أقول إن المراد من الحديث بلفظ البيت: القلب، وبالكلب الصفة المذمومة، ولكن أقول: هو تنبيه عليه، وفرق بين تغيير الظاهر وبين التنبيه على البواطن من ذكر الظواهر". التحرير والتنوير: ١/ ٣٥.

(٥) هو تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الإمام مجد الدين أبو البركات، الإمام المفسر الفقيه الحافظ المحدث، من تصانيفه: (دقائق التفسير) في ستة أجزاء، وقد توفي في السجن سنة (٧٢٨) للهجرة. ينظر: الدرر الكامنة: ١/ ٢٤، البدر الطالع: ١/ ٦٣، ووفاة الوفيات: ١/ ٦٣، وهديّة العارفين: ١/ ١٣٥، ومعجم المؤلفين: ١/ ٦٢، والوفاي بالوفيات للصفدي: ٧/ ١١، و منهج ابن تيمية في التفسير: ٤٠ (أطروحة الدكتوراه).

كالقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام، لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك ، فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه، وإن كان تحريفاً للكلام عن مواضعه وتأويلاً للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية .^(١) وفي موضع آخر يقول: " وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار فحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار، وهذا حق إذا كان قياساً صحيحاً لا فاسداً، واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً"^(٢) .

٣- والشيخ سعد الدين التفتازاني (ت/٧٩٣ هـ) في شرحه للعقائد النسفية يقول: " سميت الملاحظة باطنية، لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم، وقصدتهم بذلك نفي الشريعة بالكلية، قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف عن أرباب السلوك ، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهي من كمال الإيمان ومحض العرفان"^(٣) .

٤- الزركشي (ت/٧٩٤ هـ) يقول: " كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل: إنه ليس بتفسير، وإنما هو معاون ومواجيد يجدونها عند التلاوة، كقول بعضهم في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]^(٤) إنما المراد النفس يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه"^(٥) .

وأما المانعون فهم كالاتي:

٥- وقال الإمام ابن صلاح الشهرزوري (ت/٦٤٣ هـ): "وجدت عن الإمام أبي حسن الواحدي (ت/٤٦٨ هـ) المفسر أنه قال: صنف أبو عبدالرحمن السلمي (ت/٤١٢ هـ) حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك التفسير فقد كفر، وقال ابن الشهرزوري: " وأنا أقول - الظن بمن يوثق به منهم -: إذا قال

(١) مجموع الفتاوي : ٣٧٦/٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٢ / ٢٨ . ويقول رحمه الله في بيان هذا المجال التفسيري : " الثاني: ما كان في نفسه حقا لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يُرد بها ذلك فهذا الذي يسمونه إشارات، وحقائق التفسير لأبي عبدالرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير، وهو الذي يشبه كثيراً على بعض الناس فإن المعنى يكون صحيحاً لدلالة الكتاب والسنة عليه، ولكن الشأن في كون اللفظ الذي يذكره دل عليه، وهذان قسمان: أحدهما: أن يقال أن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله... القسم الثاني: أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس فالذي تسميه الفقهاء قياساً هو الذي تسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى الصحيح وباطل كأنقسام القياس إلى ذلك" مجموع الفتاوي : ٢٤٠/١٣ .

(٣) شرح العقائد النسفية:

(٤) سورة التوبة/ الآية ١٢٣ .

(٥) البرهان في علوم القرآن : ١٧٠ / ٢ .

شيئاً من ذلك: أنه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به، مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به لقرآن فإن التنظير يذكر بالنظير ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإبهام والالتباس"، وقال الامام نجم الدين عمر النسفي (ت/٧١٠هـ) في عقائده: "النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطل: إلحاد"^(١)

والذين فصلوا في المسألة وفرقوا بين الصحيح والباطل في التفسير الإشاري :

فالإمام ابن القيم الجوزية (ت/٧٥١هـ) : "وهذه الأقوال : إن أريد أن اللفظ دل عليها وانها هي المراد: فغلط، وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب، وتفسير الناس يدور على ثلاثة اصول: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شرائط : (أن لا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحا في نفسه، وان يكون في اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسناً)^(٢).

٦- ويرى الامام الشاطبي (ت/٧٩٠هـ): ان الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الطاهرة وأصحاب البصائر إذا صحت على كمال شروطها على ضربين: ما يكون أصل انفجاره من القرآن فهذا الاعتبار: صحيح في الجملة وهو الذي يخرق من البصيرة حجب الأكوان من غير توقف، فهو يقول حول ذلك النوع من التفسير: " ولكن وجه جار على الصحة ، وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية"، ويقول أيضاً: " وإنما احتيج إلى هذا كله لجلالة من نقل عنهم ذلك (أي: التفسير الإشاري) من الفضلاء وربما الغزالي يأتي بشيء منه في الإحياء وغيره، وهو مزلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم، فإن الناس في أمثال هذه الأشياء بين قائلين: منهم من يصدق به، ويأخذه على ظاهره، ويعتقد أن ذلك هو مراد الله تعالى من كتابه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافه فربما كذب به أو أشكل عليه، ومنهم : من يكذب به على الإطلاق، ويرى: أنه تقوّل وبهتان مثل ما تقدم من تفسير الباطنية ومن حذا حذوهم، وكلا الطرفين فيه ميل عن الإنصاف"^(٣)..

٧- والامام ابن عاشور (ت/١٣٩٣هـ) في تفسيره تطرق الى أقسام للإشارات حيث قال: " أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن، ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح

(١) نقلاً عن: تأويلات أهل السنة للماوردي : ٢/ ٢٨٢ .

(٢) التبيان في آيات القرآن : ١٢٣ .

(٣) الموافقات : ٣/ ٤٠٣ .

للمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات، ولم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية^(١).

٨- ويفصل الزرقاني (ت/١٣٦٧هـ) في بيان الفاصل والفارق بين التفسير الإشاري والتفسير الباطني بقوله: " و يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصوفية: لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً، فمن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، وأما الباطنية: فإنهم يقولون: أن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة"^(٢).

٩- كذلك يتطرق الشيخ مصطفى ديب البغا (و/١٩٣٨هـ) إلى التفرقة بين الصحيح الإشاري و زندقة الباطني في كتابه (الواضح في علوم القرآن) بدءاً بالباطني حيث قال: " هو تفسير باطل وإثم كذلك، بل يخشى الخروج عن الإسلام لمن اعتقد ذلك، معاذ الله، ولو ألحق بالتفسير الباطني لا يعد بعيداً، وقد عرفت الحكم في ذلك التفسير، اللهم إلا أن يكون التفسير الإشاري قائماً على الاعتراف بمعاني ظواهر النصوص على ما تقتضيه اللغة والنصوص الشرعية الأخرى، فالمرجو ألا يكون بأس وإثم بإذن الله، ويقرب من هذا التفسير ما قاله علماء الأصول في قوله تعالى: [وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف]^(٣) الآية نص في وجوب نفقة الزوجة على الزوج، وهي تشير إلى أن الولد ينسب إلى أبيه"^(٤).

إذن الفرق بين التأويل الباطني الفاسد والتفسير الإشاري: التفسير الإشاري هو تأويل القرآن بغير ظاهره؛ لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والفيض ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد، وهذا هو عين المراد للأمام الشاطبي من " التفسير الباطني الصحيح" الذي سبق ذكره، غير أن بعض الناس قد يخلطون بين التأويل الباطني الفاسد وبين ما اصطلح على تسميته بالتفسير الإشاري، مع ما بينهما من فرق نبه عليه المحققون من أهل العلم .

(١) التحرير والتنوير: ١ / ٣٥ .

(٢) مناهل العرفان: ٢ / ٧٩ .

(٣) سورة البقرة: من الآية / ٢٣٣ .

(٤) الواضح في علوم القرآن لمصطفى ديب البغا: موقع نداء الإيمان في علوم القرآن تاريخ الزيارة ٢٢-أكتوبر-

المبحث الثاني

بديع الزمان والتفسير الإشاري (المعنوي) للقرآن الكريم

وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الاول / منهج النورسي في تفسير القرآن الكريم بصورة عامة

الأول: مميزات تفسيره بصورة عامة : من الضروري ان نذكر أهم المميزات في جهود الإمام

النورسي التفسيرية :

١- أن منهج الرسائل ليس منهجا إشاريا فقط، بل هو تفسير معنوي و شهودي ، فهو كما يقول في بداية تفسيره لـ(إشارات الإعجاز) الذي يبدأ بسورة الفاتحة ويقف في (الآية الثالثة والثلاثين) من سورة البقرة في كتابه المذكور .^(١).

٢- ومن مميزات ذلك التفسير (الموجود في إشارات الإعجاز) أنه يفسر آية تلو الآية بالترتيب القرآني، ويبين الإعجاز النظمي والبلاغي معاً، ولا يكتفي بدلالة الألفاظ فقط، وإنما بالدلائل الشهودية لإثبات الآية ودلائلها، إن كانت الآية متعلقة بالآخرة، فهو في ذلك يثبت معنى الآية مع تفسير ألفاظ الآيات حسب الحاجة .

٣- ومن المعلوم أن الأستاذ بعدما رأى الأفكار الإلحادية منتشرة في العالم الإسلامي، أراد أن يؤلف تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم يبلغ حوالي مجلداتٍ عديدة، إذ أنه - كما يقول - "لما رأى موانع الحرب العالمية الأولى، وكانت النية تتجه إلى ان يكون هذا الجزء وفقاً على توضيح الإعجاز النظمي من وجوه إعجاز القرآن، وأن تكون الأجزاء الباقية كل واحدٍ منها وفقاً على سائر اوجه الإعجاز".^(٢). وذلك وفق الأسلوب التقليدي والمتبع في التفاسير الموجودة، إلا أنه بعدما رأى أن إيمان كثير من المسلمين تزعزع، غير ذلك الأسلوب في التفسير وانتقل الى منهج آخر ألا وهو التفسير الشهودي والمعنوي لآيات الآفاق والكون والإرسال وعبر عنهم بالبراهين الثلاثة : (البرهان المتلو) و(البرهان المرسل) و(البرهان المنظور).

٤- أنه رحمه الله قام ببيان مقاصد القرآن الأساسية، الخاصة بأركان الإيمان وحقائق القرآن وعظمة الإسلام وشريعته في تفسيره للآيات التي فسرهما ترتيبياً حسب المنهج المتبع في بداية أمره التفسيري، لكنه تغير أسلوبه وخطاباته التفسيرية من مجموعة خاصة من الناس من العلماء والدارسين من أهل العلم والنخبة إلى عامة الناس ببيان الشواهد الكونية و الحقائق الإيمانية القرآنية.

(١) إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز : ٢٢-٢٤٠.

(٢) إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز : ١٧/٥.

٥- كان بديع الزمان في رسائله يركز على التفكير والتدبر دوماً، حيث يقول: "ثم انظر إلى القرآن فإنه غواص لكل عين مفتوحة تحيط بالكنز وما فيه، فيصف الكنز كما هو عليه بتناسب وانتظام واطراد"^(١).

٦- أن التفسير الإشاري أو المعنوي موجود في رسائله لكنه قليل، فمنهج الرسائل وتفسيره فيها ليس كله إشاري، وإنما فيها معاني إشارية، كما نراه في (كلمة العشرين) المتعلقة ب(معجزات الأنبياء)، إذ بين إشارات رمزية من خلال المعجزات على التقدم الحضاري والحث فيه^(٢)، وأيضاً التفسيرات الإشارية موجودة في (اللمعة السابعة عشر) من اللمعات^(٣).

فلقد يرى ويؤمن بأن أكثر الآيات الكريمة إنما هي مفتاح لخزينة كمال فائق، ولكن علمي عظيم. إذ يقول: "فإن شئت أن تبلغ سماوات القرآن الكريم ونجوم الآيات فاجعل (الكلمات العشرين السابقة) عشرين درجا لسلم الوصول إليها، وشاهد بها مدى سطوع شمس القرآن العظيم، وتأمل كيف ينشر القرآن نوره باهرا على حقيقة الألوهية وحقائق الموجودات، والمخلوقات، وكيف ينشر الضياء الساطع على كل الموجودات"^(٤)، ومن ثم يقول: "النتيجة: ما دامت الآيات التي تخص معجزات الأنبياء عليهم السلام لها نوع من الإشارة إلى خوارق التقدم العلمي والصناعي الحاضر، ولها طراز من التعبير كأنه يخط أبعد الحدود النهائية لها.. وحيث إنه ثابت قطعاً أن لكل آية دلالات على معانٍ شتى بل هذا منفق عليه لدى العلماء.. ولما كان هناك أوامر مطلقة لاتباع الأنبياء (عليهم السلام) والافتداء بهم، لذا يصح القول: إنّه مع دلالة الآيات المذكورة سابقاً على معانيها الصريحة هناك دلالات مشوّقة بأسلوب الإشارة إلى أهم العلوم البشرية وصناعاتها"^(٥).

٧- أن للإمام تقاسير إشارية، مختلفة عن التقاسير المذكورة والمتداولة من بين التقاسير، ومتفقة معها في الخصوصية وانسراح الصدر وعدم الوصول إليه والتمتع به إلا عن طريق الخواص وأولو التقوى، وكذلك توجد للأستاذ مسائل إشارية ورموزات أخرى مستخدمة ومسمية بعلم الجفر في ذلك القسم الذي لم يترجم إلى اللغة العربية والمسمى ب(سكة تصديقي غيبي) ..

فبديع الزمان النورسي بيّن صراحةً أن التقدم الإنساني والاختراعات والاكتشافات العلمية كالمطائرة والكهرباء والقطار واللاسلكي وأمثالها من منجزات العلم والصناعة والتكنولوجيا الحديثة، توجد نواتها

(١) المشنوي العربي النوري : ١٦٨ / ٦ .

(٢) ينظر على سبيل المثال: الكلمات: ١ / ٢٧٩ عند تفسير قوله تعالى (وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ). (سورة يس / الآيتان: ٤١-٤٢) .

(٣) ينظر على سبيل المثال: اللمعات ٣ / ١٤٩ عند تفسير قوله تعالى: (تَعْرَبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ) . سورة الكهف/ من الآية ٨٦.

(٤) الكلمات: ١ / ٢٩٣ .

(٥) المصدر نفسه .

الفكرية وإشاراتنا العلمية والفكرية في القرآن الكريم عن طريق معجزات الأنبياء ومقاصد القصص والأحداث التاريخية القرآنية .

ففي تفسيره لقوله تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ نَلُوءًا فَاْمَشُوا فِي مَنَآكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ]^(١) يقول الأستاذ : " ان باستطاعتكم الاستفادة من هذه النعمة الموهوبة لكم. فسارعوا إلى العمل الجاد واسعوا سعياً حثيثاً كي تحوّلوا الأرض إلى ما يشبه حديقَةً صغيرة غنّاء، تجولون فيها وترون جهاتها كلّها وتسمعون أحداثها وأخبارها من كل ناحية منها غير ناسين وظيفة عبوديتكم"^(٢).

وهكذا نرى كيف تومئ الآية الكريمة المتصدرة لهذا المثال إلى إثارة همّة الإنسان، وبعث اهتماماته لاكتشاف وسيلة يستطيع بها إحضار الصور والأصوات من أبعد الأماكن وأقصاها ضمن أدق الصناعات البشرية .

الثاني : أسس منهج الإمام النورسي في التفسير الإشاري (المعنوي) :

فمن أسس المنهج الإشاري لتفسير القرآن الكريم عند الإمام تكمن في الأمور الآتية:
أولاً : "إن الكتاب المبين -على قول- هو القرآن الكريم. فهذه الآية الكريمة تبين أنّه ما من رطب ولا يابس إلّا وهو في القرآن الكريم" ، علماً بـ (أنّ في القرآن كلّ شيء، ولكن لا يستطيع كلّ واحد أن يرى فيه كلّ شيء .

ثانياً : أنّ صور الأشياء تبدو في درجات متفاوتة في القرآن الكريم، فأحياناً توجد بذور الشيء أو نواه، وأحياناً مجمل الشيء أو خلاصته، وأحياناً دساتيره، وأحياناً توجد عليه علامات. ويرد كلّ من هذه الدرجات؛ إما صراحة أو إشارة أو رمزا أو إبهاماً أو تنبيهاً. فيعبّر القرآن الكريم عن أغراضه ضمن أساليب بلاغته، وحسب الحاجة، وبمقتضى المقام والمناسبة".

ثالثاً : إن "حصيلة التقدم الإنساني ورقبته في مضمار الصناعة والعلم، أصبحت هذه الاختراعات موضع اهتمام الإنسان، وتبوأت مكانة خاصة في حياته المادية. لذا فالقرآن الكريم الذي يخاطب البشرية قاطبة، لم يهمل هذا الجانب من حياة البشر، بل قد أشار إلى تلك الخوارق العلمية من جهتين:

أ/ الجهة الأولى: أشار إليها عند إشارته إلى معجزات الأنبياء عليهم السلام، حيث يقول : "يحض القرآن الكريم الإنسان على الاستزادة من نور الخصال الحميدة التي يتحلّى بها الأنبياء عليهم السلام، وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية، فإنّه عند بحثه عن معجزاتهم المادية أيضاً يومئ إلى إثارة شوق الإنسان ليقوم بتقليد تلك المعجزات التي في أيديهم، ويشير إلى حصّه على بلوغ نظائرها".

(١) سورة الملك/ الآية ١٥

(٢) الكلمات: ٢٨٥ / ١ .

ويقول في موطن آخر : "أن كل معجزة من معجزات الأنبياء عليهم السلام تشير إلى خارقة من خوارق الصناعات البشرية، أما معجزة سيدنا آدم (عليه السلام) فهي تشير إلى فهرس خوارق العلوم والفنون والكمالات، وتشوق إليها جميعاً مع إشارتها إلى أسس الصنعة إشارة مجملية مختصرة".

ب/ الجهة الثانية: أشار إليها عند سرده بعض الحوادث التاريخية، فهو يقول: "ولما كان العلماء المحققون من أهل البلاغة قد اتفقوا جميعاً أن لكل آية كريمة وجوهاً عدة للإرشاد، وجهات كثيرة للهداية. فلا يمكن إذن أن تكون أسطح الآيات وهي آيات المعجزات، سرداً تاريخياً، بل لابد أنها تتضمن أيضاً معاني بليغة جمة للإرشاد والهداية".^(١)

رابعاً: أن النورسي يتصل تفسيراته الإشارية بتجليات أسماء الله الحسنى في أماكن عدة، وهذا المنهج بارز أيضاً من خلال منهج الإمام القشيري في تأليفاته، سيما رسالته (التحبير في التذكير): الجانب الإشاري والرمزي جلي في الحروف المقطعة^(٢)، فمثلاً: يقول : " إن كل ما ناله الإنسان - من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات - من الكمال العلمي والتقدم الفني، ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات، تعبّر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] (٣) ، و" هذا التعبير ينطوي على رمز رفيع ودقيق، وهو: أن لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن - أي كان - حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى".

فالهندسة -مثلاً- علم من العلوم، وحقيقتها وغاية منتهائها هي الوصول إلى اسم "العدل" و"المقَدِّر" من الأسماء الحسنى، وبلوغ مشاهدة التجليات الحكيمة لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبته في مرآة علم "الهندسة".

والطب -مثلاً- علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقتها يستند أيضاً إلى اسم من الأسماء الحسنى وهو "الشافى". فيصل الطبُّ إلى كماله ويُصبح حقيقةً فعلاً بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم "الشافى" في الأدوية المبنوثة على سطح الأرض الذي يمثل صيدليةً عظيمة^(٤).

والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات -كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان - هذه العلوم التي هي "حكمة الأشياء" يمكن أن تكون حكمةً حقيقيةً بمشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله "الحكيم" جلَّ جلاله في الأشياء، وهي تجليات تدبير، وتربية، ورعاية. وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها تصبح تلك الحكمة حكمةً حقاً، أي باستنادها إلى ذلك الاسم "الحكيم" وإلى ذلك الظهير تصبح حكمةً فعلاً، وإلا فإمّا أنها تنقلب إلى خرافات وتصبح عبثاً لا طائل من ورائها، أو تفتح سبيلاً

(١) الكلمات : ٢٩٦ / ١

(٢) المنهج الإشاري في تفسير القشيري: ٢٥٧.

(٣) سورة البقرة / الآية ٣١.

(٤) الكلمات: ٢٩١ / ١ .

إلى الضلالة، كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية. فإليك الأمثلة الثلاثة كما مرت.. قس عليها ببقية العلوم والفنون والكمالات.^(١)

خامساً: لقد تمعن الباحث في إيراد الإمام النورسي في الرسائل لقصص الأنبياء البالغ أكثر من (١٦) - ست عشرة - آية استدلل بها النورسي للاستدلال بها في قصص (٧) أنبياء عليهم السلام ، وذكر حوالي (عشرين) تفسيراً إشارياً لمسائل ومخترعات علمية محسوسة ومرئية ومسخرة للإنسان ومستكشفة بها، والمذكورة في رسالته (الكلمات) . و أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الإمام للأخذ بتفسيرات إشارية في الكلمات فقط - على سبيل المثال - هم : (سيدنا آدم ، سيدنا سليمان، سيدنا داود ، سيدنا إبراهيم ، وسيدنا موسى ، وسيدنا عيسى ، وخاتم الأنبياء سيدنا رسول الله)

سادساً: فهو ينص بقوله : " فمن يعتمد على الله سبحانه إذن ويطمئن إليه، ويسأله بلسان استعداداته وقابلياته التي فُطر عليها، وسار في حياته على وفق السنن الإلهية والعناية الربانية، يمكن أن تتحول له الدنيا الواسعة كأنها مدينة منتظمة"

فهو يذكر . على سبيل المثال دون الحصر . استدلاله بالإشارة القرآنية لـ (القطار)^(٢) في (سورتي البروج ويس)^(٣) وكذلك الآية الكريمة الآتية ترمز إلى الكهرباء علاوة على إشارتها إلى كثير من الأنوار والأسرار في سورة النور^(٤)

إذ يقول : "ولما كان الكثيرون من الفضلاء قد انصرفوا إلى هذا القسم، وبذلوا جهوداً كثيرة في توضيحه، علماً أنّ القيام ببحثه يتطلب دقة متناهية ويستدعي بسطاً للموضوع أكثر من هذا وإيضاحاً وافياً. فضلاً عن وجود أمثلة وفيرة عليه"^(٥)، لذا لا يفتح هذا الباب، بل اكتفى بذكر الآيات فقط كما نص على ذلك .

(١) الكلمات : ١ / ٣٠٧ .

(٢) الكلمات : ١ / ٢٧٩ .

(٣) [قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ - النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ - إِذْ هُمْ عَلَيْهَا فُعُودٌ - وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ - وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سورة البروج/ الآيات ٤-٨) ، وقوله تعالى : [فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ - وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ] (سورة يس/ ٤١-٤٢) .

(٤) [اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ] . (سورة النور/ الآية ٣٥) .

(٥) الكلمات : ١ / ٢٧٩ .

المطلب الثاني / نماذج من التفسير الإشاري (المعنوي) في رسائل النور

يختلف مصطلح (الإشاري) في تفسيره للآيات القرآنية عند الإمام النورسي عن غيره المستخدمين لها، فهو يستعمله في الرسائل عموماً وخصوصاً في الكلمات واللمعات كرموز ومفاتيح ونوافذ للاستطلاع واكتشافات علمية حسب المناهج والتطورات التكنولوجية ومتابعة أسباب الدنيا التي منح الله تعالى نتائجها لأهل العلم ومتخذي تلك الأسباب ، فمن هذا المنطلق نرى قسمين من التفسير الإشاري عند الإمام بديع الزمان ، وهما:

القسم الأول: إشارات تفسيرية التي استنبطها عن طريق معجزات الرسل والانبياء في القرآن الكريم:
القسم الثاني : أنواع سبعة تخص الإخبار عن الغيب ضمن آيات مباركة في ختام سورة الفتح.

القسم الأول: إشارات تفسيرية التي استنبطها عن طريق معجزات الرسل والانبياء في القرآن الكريم:

فالإمام النورسي يقول: " إنَّ يدَ المعجزة هي التي أهدت إلى البشرية الكمالَ المادي وخوارقه لأول مرة، مثلما أهدت إليها الكمال المعنوي، فدونك سفينة نوح عليه السلام وهي إحدى معجزاته، وساعة يوسف عليه السلام، وهي إحدى معجزاته، فقد قدمتهما يد المعجزة لأول مرة هدية ثمينة إلى البشرية. وهناك إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة، وهي اتخاذ أغلب الصنّاع نبيا من الأنبياء رائدا لصنعتهم وقطبا لمهنتهم. فالملاحون -مثلا- اتخذوا سيدنا نوحا عليه السلام رائدهم، والساعاتيون اتخذوا سيدنا يوسف عليه السلام إمامهم، والخياطون اتخذوا سيدنا إدريس عليه السلام مرشدهم." (١) .

أولاً: سيدنا آدم والتفسير الإشاري من معجزة (تعلمه الأسماء) :

ففي استهلاله لتفسير معجزة (تعليم الأسماء)، يقدّم الإمام النورسي رؤية إشاريّة تجعل من هذه المعجزة أساساً لبيان قابلية الإنسان للعلم والكمال، ومن خلالها يؤسس لمعنى الخلافة الإنسانية بوصفها مشروعاً معرفياً قائماً على اكتشاف الأسماء وحقائقها في الكون.

حيث فسّر قوله تعالى: [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] (٢) بقوله: " تبين هذه الآية أنّ المعجزة الكبرى لآدم عليه السلام، في دعوى خلافته الكبرى، هي تعليم الأسماء، فمثلما ترمز معجزات سائر الأنبياء إلى خارقة بشرية خاصة لكل منهم، فإن معجزة أبي الأنبياء وفتح ديوان النبوة آدم عليه السلام، تشير إشارة قريبة

(١) الكلمات : ٢٨٠ / ١ .

(٢) سورة البقرة/ الآية ٣١ .

من الصراحة إلى منتهى الكمال البشري، وذروة رقيته، وإلى أقصى أهدافه، فكان الله سبحانه يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة: يا بني آدم ! إن تفوق أبيكم آدم في دعوى الخلافة على الملائكة كان بما علمته الأسماء كلها، وأنتم بنوه، ووارثو استعداداته، ومواهبه فعليكم ان تتعلموا الأسماء كلها لتثبتوا جدارتكم أمام المخلوقات". (١) .

كذلك يقول : " كما صرح بهذا التنبيه بقوله : " بيان نكتة مهمة وإيضاح سرّ أهم : إن كل ما ناله الإنسان - من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات - من الكمال العلمي والتقدم الفني، ووصوله إلى خوراق الصناعات والاكتشافات، تعبّر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] وهذا التعبير ينطوي على رمز رفيع ودقيق، وهو: أن لكلّ كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن -أيا كان- حقيقة سامية عالية" (٢) ..

ثانياً: سيدنا سليمان ومعجزته مع الريح :

ففي رسائل النور نجد في بيان معجزات (سيدنا سليمان) عدداً من المسائل والتفسيرات الإشارية الآتية :

مثلاً: عند قوله تعالى : [وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ] (٣) يقول : "هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام. وهي تسخير الريح له، أي إنّه قد قطع في الهواء ما يُقطع في شهرين في يوم واحد. فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء" (٤).

ثالثاً: سيدنا داود و معجزته مع الجبال :

ومثلاً: [إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ] (٥) ، [يَا جِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ] (٦) [عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ..] (٧)

يقول النورسي: "هذه الآيات الكريمة التي تذكر معجزات سيدنا داود عليه السلام، تدل على أنّ الله سبحانه قد منح تسبيحاته وأذكاره من القوة العظيمة والصوت الرخيم والأداء الجميل ما

(١) الكلمات : ٢٩٠ / ١

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة سبأ/ الآية ١٢

(٤) الكلمات : ١ / ٢٨١.

(٥) سورة ص/ الآية ١٨

(٦) سورة سبأ/ الآية ١٠

(٧) سورة النمل/ الآية ١٦

جعل الجبال في وجدٍ وشوق، وكأنها حالكٍ عظيم تردّد تسبيحاتٍ وأذكاراً. أو كأنها إنسان ضخم يُسبّحُ في حلقة ذكر حول رئيس الحلقة. (١)

رابعاً: كذلك سيدنا داود وسليمان :

عند تفسيره لما أُوتي سيدنا داود وسيدنا سليمان (عليهما السلام) من تعليم منطق الطير، يبرز بديع الزمان سعيد النورسي البعد الإشاري في تسخير المخلوقات وفهم قابلياتها لخدمة الإنسان، ومن خلال ذلك يؤسس لرؤية حضارية ترى في اكتشاف سنن الطبيعة والتواصل مع الكائنات امتداداً للمنحة الإلهية ومجالاً لارتقاء العمران الإنساني.

فقد أورد قوله تعالى: [وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً] (٢) و[عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ..] (٣) ، إذ يقول: "هذه الآيات تبين أن الله سبحانه قد علّم سيدنا داود وسليمان عليهما السلام منطق أنواع الطيور، ولغة قابلياتها واستعداداتها، أي: أي الأعمال تناسبها؟ وكيف يمكن الاستفادة منها؟ نعم، هذه الحقيقة هي الحقيقة الجليّة، إذ ما دام سطح الأرض مائدةً رحمانيةً أقيمتُ تكريماً للإنسان، فيمكن إذن أن تكون معظم الحيوانات والطيور التي تنتفع من هذه المائدة مسخرةً للإنسان، ضمن تصرفه وتحت خدمته، فالإنسان الذي استخدم النحل ودودة الفز -تلكم الخدمة الصغار- وانتفع مما لديهم من إلهام إلهي، والذي استعمل الحمام الزاجل في بعض شؤونه وأعماله، واستنطق البيغاء وأمثاله من الطيور، فضمّ إلى الحضارة الإنسانية محاسن جديدة، هذا الإنسان يمكنه أن يستفيد إذن كثيراً إذا ما علّم لسان الاستعداد الفطري للطيور، وقابليات الحيوانات الأخرى، حيث هي أنواع وطوائف كثيرة جداً، كما استفاد من الحيوانات الأليفة، فمثل هذه الأنواع من استغلال قابليات الطيور والانتفاع منها، واستنطاق الجمادات من هاتف وحالك، تخط له الآية الكريمة المذكورة المدى الأقصى والغاية القصوى (٤).

وفي قصة معجزات سيدنا داود يقول: " فمثلاً: [وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ] (٥) كذلك في قوله تعالى: [وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ] (٦)، هاتان الآيتان تخسان معجزة سيدنا داود عليه السلام، والآية الكريمة: [وَأَسْلَمْنَا لَهُ بَعْنُ الْقِطْرِ] (٧) تخص معجزة سيدنا سليمان عليه السلام. فهذه الآيات تشير إلى أن تليين الحديد نعمة إلهية عظمى، إذ يبين الله به فضل نبي عظيم. فتليين الحديد وجعله كالعجين، وإذابة

(١) الكلمات : ١ / ٢٨٦ .

(٢) سورة ص/ الآية ١٩

(٣) سورة النمل/ الآية ١٦

(٤) الكلمات : ١ / ٣٠٣ .

(٥) سورة سبأ/ الآية ١٠

(٦) سورة ص/ الآية ٢٠

(٧) سورة سبأ/ الآية ١٢

النحاس وإيجاد المعادن وكشفها هو أصل جميع الصناعات البشرية، وأساسها، وهو أمّ التقدم الحضاري من هذا الجانب ومعدنه، فهذه الآية تشير إلى النعمة الإلهية العظمى في تليين الحديد كالعجين وتحويله أسلاكاً رفيعة، وإسالة النحاس، واللذان هما محور معظم الصناعات العامة، حيث وهبها الباري الجليل على صورة معجزة عظمى لرسول عظيم وخليفة للأرض عظيم "ومن ثمّ يقول: "فسبحانه يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة: فأنتم يا بني آدم إن أطعتم أوامر التكوينية تُوهب لكم أيضاً تلك الحكمة والصنعة، فيمكنكم بمرور الزمن أن تقتربوا منها وتبلغوها، تستقطب أنظار البشرية عامة إلى هذه الحقيقة، وتلفت نظر السالفين وكسالى الحاضرين إليها، فتنبّه أولئك الذين لا يقدرونها حق قدرها". (١).

ومثلاً يذكر النورسي من معجزات سيدنا سليمان عند قوله تعالى: [قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ..] (٢) مانصه: " فهذه الآية تشير إلى أن إحضار الأشياء من مسافات بعيدة -عينا أو صورة- ممكن، وذلك بدلالاتها على تلك الحادثة الخارقة التي وقعت في ديوان سيدنا سليمان عليه السلام، عندما قال أحد وزراءه الذي أوتي علماً غزيراً في (علم التحضير): أنا آتيتك بعرش بلقيس، ولقد أتى الله سبحانه سيدنا سليمان عليه السلام الملك والنبوة معاً، وأكرمه بمعجزة يتمكن بها من الاطلاع المباشر بنفسه وبلا تكلف ولا صعوبة على أحوال رعاياه، ومشاهدة أوضاعهم، وسماع مظامهم، فكانت هذه المعجزة مناط عصمته وصونه من الشطط في أمور الرعية، وهي وسيلة قوية لبسط راية العدالة على إرجاء المملكة". (٣).

وينص النورسي في هذا المنط بقوله: " فهذه الآية تشير إشارة رائعة إلى إحضار الصور والأصوات من مسافات بعيدة. فالآية تخاطب: أيها الحكام! ويا من تسلّمتم أمر البلاد! إن كنتم تريدون أن تسودوا العدالة أنحاء مملكتكم، فاقتدوا بسليمان عليه السلام واسعوا مثله إلى مشاهدة ما يجري في الأرض كافة، ومعرفة ما يحدث في جميع أرجائها. فالحاكم العادل الذي يتطلع إلى بسط راية العدالة في ربوع البلاد، والسلطان الذي يرفع شؤون أبناء مملكته، ويشفق عليهم، لا يصل إلى مبتغاه إلا إذا استطاع الاطلاع -متى شاء- على أقطار مملكته. وعندئذٍ تعمّ العدالة حقاً، وينقذ نفسه من المحاسبة والتبعات المعنوية، فالله سبحانه يخاطب بالمعنى الرمزي لهذه الآية الكريمة: يا بني آدم! قد وهبت لكل إنسان قابلية فطرية ليكون خليفة في الأرض، فلا ريب أنني قد زودته بمقتضى حكمتي - ما يناسب تلك القابلية الفطرية، من مواهب واستعدادات يتمكن بها من أن يشاهد الأرض بأطرافها ويدرك منها ما يدرك. وعلى الرغم من أن الإنسان قد لا يبلغ هذه المرتبة بشخصه إلا أنه يتمكن من بلوغها بنوعه. وإن لم يستطع بلوغها مادياً، فإنه يبلغها معنوياً، كما يحصل للأولياء الصالحين" (٤).

(١) الكلمات : ١ / ٣٠٣ .

(٢) سورة النمل: من الآية/ ٤٠ ، وينظر: الكلمات : ١ / ٢٩٩ .

(٣) الكلمات : ١ / ٢٨٤ .

(٤) الكلمات : ١ / ٢٨٥ .

وكذلك يذكر -مثلاً عند قوله تعالى: [وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ،^(١)، وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَعْزُوبُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ]^(٢)

فهو يقول: "بمعنى أن الله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآيات: أيها الإنسان! إنني أسخر الجن والشياطين وأشرارهم لعبيدٍ قد أطاعني واجعلهم منقادين إليه مسخرين له، فأنت إن سخرت نفسك لأمرٍ وأطعتني، قد تُسخر لك موجودات كثيرة بل حتى الجن والشياطين، فالآية الكريمة تخط أقصى الحدود النهائية، وتعين أفضل السبل القويمة للانتفاع"^(٣). ويفصّل في ضوابط ذلك .
وفي بيانه لقوله تعالى : [فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا]^(٤) هذه الآية وأمثالها التي تشير إلى تمثّل الأرواح، وكذا الآيات المشيرة إلى جلب سيدنا سليمان عليه السلام للعفاريت وتسخيرهم له، هذه الآيات الكريمة مع إشارتها إلى تمثّل الروحانيات فهي تشير إلى تحضير الأرواح أيضاً. غير أن تحضير الأرواح الطيبة -المشار إليه في الآيات- ليس هو بالشكل الذي يقوم به المعاصرون من إحضار الأرواح إلى مواضع لهوهم وأماكن ملاعبهم والذي هو هزل رخيص واستخفاف لا يليق بتلك الأرواح الموقرة الجادة، التي تعمر عالما كله جدّ لا هزل فيه،^(٥).

خامساً: سيدنا إبراهيم ومعجزة عدم الحرق :

النورسي عند تناوله لمعجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام في النجاة من النار، يكشف عن أبعاد إشاريّة تربط بين خضوع الأسباب للأمر الإلهي وإمكان تسخير قوانين الكون، ومن خلال ذلك يبرز منهجاً يزاوج بين التفسير الإيماني والسنني، حيث تتحول المعجزة إلى مفتاح لفهم العلاقة بين القدرة الإلهية ونظام الأسباب.

حيث يقول الإمام النورسي في تفسير قوله تعالى : [قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ]^(٦) بقوله: "هذه الآية الكريمة تبين معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفيها ثلاث إشارات لطيفة:.

(١) سورة ص/ الآية ٣٨

(٢) سورة الأنبياء/ الآية ٨٢

(٣) الكلمات : ١ / ٢٨٥.

(٤) سورة مريم/ الآية ١٧

(٥) الكلمات : ١ / ٢٨٦.

(٦) سورة الأنبياء/ الآية ٦٩

أولاًها: النار -كسائر الأسباب- ليس أمرها بيدها، فلا تعمل كيفما تشاء حسب هواها وبلا بصيرة، بل تقوم بمهمتها وفق أمر يُفرض عليها. فلم تُحرق سيدنا إبراهيم لأنها أمرت بعدم الحرق. ثانيها: إنّ للنار درجة تحرق ببرودتها، أي تؤثر كالاحتراق. فالله سبحانه يخاطب البرودة بلفظة: "سلاما" ، بأن لا تحرقى أنتِ كذلك إبراهيم، كما لم تحرقه الحرارة. أي إنّ النار في تلك الدرجة تؤثر ببرودتها كأنّها تحرق، فهي نار وهي برد.

نعم إنّ النار -كما في علم الطبيعيات- لها درجات متفاوتة، منها درجة على صورة نار بيضاء لا تنتشر حرارتها بل تكسب مما حولها من الحرارة، فتجمد بهذه البرودة ما حولها من السوائل، وكأنّها تحرق ببرودتها. وهكذا الزمهرير لون من ألوان النار تحرق ببرودتها، فوجوده إذن ضروري في جهنم التي تضم جميع درجات النار وجميع أنواعها^(١).

ثالثها: مثلما الإيمان الذي هو "مادة معنوية" يمنع مفعول نار جهنم، وينجي المؤمنين منها. وكما أنّ الإسلام درع واقٍ وحصن حصين من النار، كذلك هناك "مادة مادية" تمنع تأثير نار الدنيا، وهي درع أمامها، لأنّ الله سبحانه يجري إجراءاته في هذه الدنيا، التي هي دار الحكمة، تحت ستار الأسباب. وذلك بمقتضى اسمه "الحكيم"، لذا لم تحرق النار جسم سيدنا إبراهيم عليه السلام مثلما لم تحرق ثيابه وملابسه أيضاً. فهذه الآية ترمز إلى:

يا ملة إبراهيم ! اقتدوا بإبراهيم، كي يكون لباسكم لباس التقوى وهو لباس إبراهيم، وليكون حصنا مانعا ودرعا واقيا في الدنيا والآخرة تجاه عدوكم الأكبر، النار. فلقد خبأ سبحانه لكم موادا في الأرض تحفظكم من شر النار، كما يقيكم لباس التقوى والإيمان الذي ألبستموه أرواحكم، شر نار جهنم.. فاهلموا واكتشفوا هذه المواد المانعة من الحرارة واستخرجوها من باطن الأرض والبسوها، وهكذا وجد الإنسان حصيلة بحوثه واكتشافاته مادة لا تحرقها النار، بل تقاومها فيمكنه أن يصنع منها لباسا وثيابا. فقارن هذه الآية الكريمة، وقس مدى سموها وعلوّها على اكتشاف الإنسان للمادة المضادة للنار، واعلم كيف أنها تدل على حلة قشبية نُسجت في مصنع "حنيفا مسلما" لا تتمزق ولا تخلق وتبقى محتفظة بجمالها وبهائها إلى الأبد^(٢).

سادساً: معجزة سيدنا موسى وانفجار العيون من الحجر بعصاه :

وعند بيانه لتفسير معجزات سيدنا موسى يتطرق إلى استخدام خزائن رحمة الله في جوف الأرض قائلا: " ومثلا: [فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا..]^(٣)

(١) يذكر أحد التفسير أنه: لو لم يقل "سلاما" لكانت تحرق ببرودتها. (المؤلف) ينظر: الكلمات : ١ / ٣٠٥.

(٢) الكلمات : ١ / ٢٨٩.

(٣) سورة البقرة/ الآية ٦٠

ففي تفسيره للآيات التي فيها بيان معجزة تفجير الماء من الحجر، يستتبط بديع الزمان النورسي دلالة إشارية تربط بين القدرة الإلهية وتسخير السنن الكونية لاكتشاف موارد الأرض. ويبرز من خلال ذلك توجيهاً قرآنياً يحفز الإنسان على استثمار أسباب العلم والعمل للوصول إلى خيرات الكون الكامنة. يقول: "هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى عليه السلام، وهي تشير إلى أنه يمكن الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرضٍ صلبة ميتة كالحجر بوساطة عصا، فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى: يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو أطفُ فيض من فيوضات الرحمة الإلهية، بوساطة عصا، فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه. فالله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية: ما دمتُ أسلم بيد عبدٍ يعتمد عليّ ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجر الماء أينما شاء. فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي، يمكنك أيضاً أن تخرع آلةً شبيهة بتلك العصا، أونظيرة لها. فهياً اسع لتجد تلك الآلة.

فأنت ترى كيف أنّ هذه الآية سبّاقة لإيجاد الآلة التي بها يتمكن الإنسان من استخراج الماء في أغلب الأماكن، والتي هي إحدى وسائل رقي البشرية. بل إنّ الآية الكريمة قد وضعت الخط النهائي لحدود استخدام تلك الآلة ومنتهى الغاية منها، بمثل ما عيّنت الآية الأولى أبعد النقاط النهائية، وأقصى ما يمكن أن تبلغ إليه الطائفة الحاضرة" (١).

سابعاً: وكذلك عند تفسيره لمعجزات سيدنا عيسى يذكر في تفسيره لقوله تعالى : [وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ..] (٢)

ففي تفسيره لهذه الآية يقول نصاً: "فهذه الآية الكريمة تشير إلى أنه يمكن أن يُعثر على دواء يشفي أشدّ الأمراض المزمنة والعلل المستعصية، فلا تيّأس أيها الإنسان، ولا تقنط أيها المبتلى المصاب، فكلّ داء مهما كان، له دواء، وعلاجه ممكن، فابحث عنه، وجده، واكتشفه، بل حتى يمكن معالجة الموت نفسه بلون من ألوان الحياة الموقته، فالله سبحانه يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة: لقد وهبُ لعبد من عبادي تَرَكَ الدنيا لأجلي، وعافها في سبيلي، هديتين: إحداهما دواء للأسقام المعنوية، والأخرى علاج للأمراض المادية، فالقلوب الميتة تُبعث بنور الهداية، والمرضى الذين هم بحكم الأموات يجدون شفاءهم بنفث منه ونفخ، فيبرؤون به. وأنت أيها الإنسان! بوسعك أن تجد في صيدلية حكمتي دواء لكل داء يصيبك، فاسع في هذه السبيل، واكشف ذلك الدواء فإنك لا محالة واجده وظافر به،

(١) الكلمات : ١ / ٢٨١.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ٤٩

وهكذا ترى كيف ترسم هذه الآية الكريمة أقصى المدى وأبعد الأهداف التي يصبو إليها الطب البشري من تقدم^(١).

فالنورسي يبرز في هذا الموضوع التفسيري للآيات البعد الإشاري لمعجزات عيسى عليه السلام، بوصفها حافزاً لاستكشاف سنن الشفاء وعدم الاستسلام لليأس من الأمراض. كما يؤسس لرؤية تجمع بين الهداية الروحية والتقدم الطبي، حيث يغدو السعي العلمي امتداداً لمعاني الرحمة الإلهية في الكون.

ثامناً: معجزات سيدنا رسول الله :

يُعدّ بديع الزمان سعيد النورسي من أبرز من تناولوا التفسير الإشاري بمنهج يجمع بين العمق العقدي والبعد الحضاري، حيث لم يكتفِ بعرض الدلالات، بل مارس حواراً منهجياً مع النص القرآني قائماً على إثارة الأسئلة والإجابة عنها. وفي هذا السياق يطرح النورسي إشكاليتين جوهريتين تتعلقان بمدى حضور منجزات المدنية الحديثة في القرآن الكريم، مبيّناً الحكمة في ورودها بصيغة رمزية وإشارية، ومؤسساً بذلك لرؤية تفسيرية توازن بين المقاصد الإلهية وحدود المعرفة البشرية، وفي ذلك يقول : " أما المعجزة الكبرى للرسول الأعظم ﷺ وهي القرآن الكريم ذو البيان المعجز، فلأنّ حقيقة تعليم الأسماء تتجلى فيه بوضوح تام، ويتفصيل أتمّ، فإنّه يبين الأهداف الصائبة للعلوم الحقة وللفنون الحقيقية، ويُظهر بوضوح كمالات الدنيا والآخرة وسعادتهما، فيسوق البشر إليها ويوجّهه نحوها، مثيراً فيه رغبة شديدة فيها، حتى إنّّه يبين بأسلوب التشويق أنّ أيها الإنسان! إن المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلّية تجاه تظاهر الربوبية، وإنّ الغاية القصوى من خلقك أنت هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات. فيعبّر بتعابير متنوعة رائعة معجزة مشيراً بها إلى أنّ البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنتساب إلى العلوم، وتتصبّ إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة".^(٢)

المطلب الثالث: مقاصد متعلقة بالتفسيرات الإشارية والرمزية في القرآن الكريم والمكتشفات

المعاصرة

لقد أورد الإمام النورسي سؤالين بنفسه حول الحكمة لإيراد تلك الرموز الإشارية ومقداره في القرآن الكريم ، وبعد ذلك إجابته بنفسه عنهما بقوله كالاتي:

أولاً: جوابان مهمان عن سؤالين مهمين:

(١) الكلمات : ١ / ٢٨٢.

(٢) الكلمات : ١ / ٢٩٣.

أحدهما: إذا قلت: لما كان القرآن الكريم قد نزل لأجل الإنسان، فلم لا يصرح بما هو المهم في نظره من خوارق المدنية الحاضرة؟ وإنما يكتفي برمز مستتر، وإيماء خفي، وإشارة خفيفة، وتنبية ضعيف فحسب؟

فالجواب: إن خوارق المدنية البشرية لا تستحق أكثر من هذا القدر، إذ إن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية وكمالاتها، ووظائف دائرة العبودية وأحوالها. لذا فإن حق تلك الخوارق البشرية وحصنها من تلك الدائرتين مجرد رمز ضعيف وإشارة خفية ليس إلا.. فإنها لو ادعت حقوقها من دائرة الربوبية، فعندها لا تحصل إلا على حق ضئيل جدا.

فمثلا: إذا طالبت الطائفة البشرية، القرآن الكريم قائلة: اعطني حقا للكلام، وموقعا بين آياتك. فإن طائرات دائرة الربوبية، تلك الكواكب السيارة والأرض والقمر، ستقول بلسان القرآن الكريم: إنك تستطيعين أن تأخذي مكانك هنا بمقدار جرمك لا أكثر.

وإذا أردت العواصم البشرية موقعا لنفسها بين الآيات الكريمة فستصدى لها غواصات تلك الدائرة؛ التي هي الأرض السابحة في محيط الهواء، والنجوم العائمة في بحر الأثير قائلة: إن مكانك بيننا ضئيل جدا يكاد لا يرى!

وإذا أردت الكهرباء أن تدخل حرم الآيات بمصابيحها اللامعة أمثال النجوم، فإن مصابيح تلك الدائرة التي هي الشمس والشهب والأجرام المزيّنة لوجه السماء، ستردّ عليها قائلة: إنك تستطيعين أن تدخلي معنا في مباحث القرآن وبيانه بمقدار ما تمتلكين من ضوء! (١)

ولو طالبت الخوارق الحضارية - بلسان صناعاتها الدقيقة - بحقوقها وأردت لها مقاما بين الآيات.. عندها ستصرخ ذبابة واحدة بوجهها قائلة: اسكتوا.. فليس لكم حق. ولو بمقدار أحد جناحي هذين! ولئن اجتمع كل ما فيكم من المصنوعات والاختراعات - التي اكتشفت اكتسابا بإرادة الإنسان الجزئية - مع جميع الآلات الدقيقة لديكم، لن تكون أعجب بمقدار ما في جسمي الصغير جدا من لطائف الأجهزة ودقائق الصنعة. وإن هذه الآية الكريمة تبهتكم جميعا: [إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ] (٢)

ولكن.. إن كان فيكم - أو من ورائكم - من الصنّاع المهرة والمخترعين الملهمين - وهم قلة - وكانوا يقومون بأعمالهم مخلصين لأجل منافع عباد الله - وهي عبادة ثمينة - ويبدلون جهدهم للمصلحة العامة وراحتهم لرفق الحياة الاجتماعية وكماليها، فإن هذه الرموز والإرشادات القرآنية كافية بلا ريب لأولئك الذوات المرهفي الإحساس، ووافية لتقدير مهاراتهم وتشويقهم إلى السعي والاجتهاد (٣).

(١) الكلمات: ١ / ٣١١

(٢) سورة الحج/ الآية ٧٣

(٣) الكلمات: ١ / ٣١١

ثانياً: بعد التيقن والتصديق بما أورد في الإجابة الأولى عن السؤال الأول، فالأستاذ يذكر ويرد سؤالاً منهجياً ثانياً متعلقاً بالموضوع فيقول :

" وإذا قلت: لم تبق لدي الآن بعد هذا التحقيق شبهة. فقد ثبت عندي بيقين وصدقت أن القرآن الكريم فيه جميع ما يلزم السعادة الدنيوية والأخروية -كل حسب قيمته وأهميته- فهناك رموز وإشارات إلى خوارق المدنية الحاضرة، بل إلى أبعد منها من الحقائق الأخرى مع ما فيه من حقائق جليلة. ولكن لم يذكر القرآن الكريم تلك الخوارق بصراحة تامة كي تُجبر الكفرة العنيدون على التصديق والإيمان وتطمئن قلوبنا فتستريح؟.

الجواب: إن الدين امتحان، وإن التكاليف الإلهية تجربة واختبار من أجل أن تتسابق الأرواح العالية والأرواح السافلة، ويتميز بعضها عن بعض في حلبة السباق. فمثلما يُختبر المعدن بالنار لتمييز الألماس من الفحم والذهب من التراب، كذلك التكاليف الإلهية في دار الامتحان هذه. فهي ابتلاء وتجربة وسوق للمسابقة، حتى تتميز الجواهر النفيسة لمعدن قابليات البشر واستعداداته من المعادن الخسيسة.

فما دام القرآن قد نزل، في دار الابتلاء هذه، بصورة اختبار للإنسان؛ ل يتم تكامله في ميدان المسابقة، فلا بد أنه سيشير -إشارةً فحسب- إلى هذه الأمور الدنيوية الغيبية التي ستتوضح في المستقبل للجميع، فاتحاً للعقل باباً بمقدار إقامة حجته. وإلا فلو ذكرها القرآن الكريم صراحة، لاختلفت حكمة التكليف إذ تصبح بديهية، مثل كتابة "لا إله إلا الله" واضحاً بالانجوس على وجه السماء، والذي يجعل الناس -أرادوا أم لم يريدوا- عندئذ مرغمين على التصديق، فما كانت ثمرة مسابقة ولا اختبار ولا تمييز، فحينئذ تتساوى الأرواح السافلة التي هي كالفحم مع التي هي كالألماس، فكان أن ظهر أبو جهل اللعين مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مستوى واحد. ولضاع التكليف " (١)

القسم الثاني : الإخبار عن الغيب ضمن آيات مباركة كختم سورة الفتح وكذا أية في سورة

النساء

إن بديع الزمان ذكر سبعة أنواع من الإخبار عن الغيب ضمن آيات مباركة في ختم سورة الفتح، وقد بين في خاتمة اللمعة السادسة (٢) تنمةً تطرق فيه صراحة الى التفسير الإشاري عند قوله تعالى قوله: [..وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا] (٣) ففي هاتين الآيتين المباركتين يقوم الخطاب القرآني - كغيرها من الآيات الكريمة- على ثراءٍ دلاليٍّ فريد، إذ لا يقتصر على المعاني الظاهرة، بل يتجاوزها إلى لطائف وإشارات عميقة تشكّل مجالاً لما يُعرف بالتفسير الإشاري، فعلى هذا

(١) الكلمات : ٢٩٦ / ١.

(٢) اللمعة السادسة للمعات : ٤٠ / ٣.

(٣) سورة النساء/ الآيتان ٦٨-٦٩.

المنطلق، يؤكد بديع الزمان سعيد النورسي أن الآية القرآنية تتضمن طبقات متعددة من المعاني، نابعة من صدورها عن علمٍ إلهيٍّ محيط، فإن النص ذكره النورسي في استدلالاته بالآيات المذكورة سابقاً، يسلط الضوء على سعة الدلالة القرآنية، ويفتح أفقاً لفهم ما وراء الظاهر من إشارات لم تُستوفَ بعد في جهود المفسرين .

لذلك النورسي ينص على ما يأتي بقوله: "ونشير إلى (نكنتين) فقط من بين ألوف نكات هذه الآية الكريمة:

النكته الأولى: إنَّ القرآن الكريم مثلما يبيِّن الحقائق بمفاهيمه وبمعناه الصريح يفيد كذلك معاني إشارية كثيرة بأساليبه وهيئاته. فلكلِّ آية طبقات كثيرة من المعاني؛ ولأنَّ القرآن الكريم قد نزل من العلم المحيط، فيمكن أن تكون جميع معانيه مرادة، إذ معاني القرآن لا تنحصر في واحد أو اثنين من المعاني كما ينحصر كلام الإنسان الحاصل بإرادته الشخصية وبفكره الجزئي المحدود، فبناءً على هذا السر فقد بين المفسرون ما لا يحَدُّ من الحقائق لآيات القرآن. وهناك حقائق كثيرة جداً لم يبينها المفسرون بعد. ولاسيما حروف القرآن وإشاراته ففيها علومٌ مهمة سوى معانيه الصريحة. (١)

النكته الثانية: تبين هذه الآية الكريمة: [مَنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا] (٢) أنَّ أهل الصراط المستقيم والمنعم عليهم بالنعم الإلهية حقاً هم طائفة الأنبياء وقافلة الصديقين وجماعة الشهداء وأصناف الصالحين وأنواع التابعين.

نعم، كما أن لفظ [من النبيين] ينظر صراحة إلى الرسول الكريم ﷺ فإن فقرة [والصديقين] تنظر إلى أبي بكر الصديق، مشيرةً إلى أنه الشخص الثاني بعد الرسول الكريم ﷺ، وأول مَنْ يخلفه، وأن اسم الصديق عنوانه الخاص الذي لُقِّب به، وهو المعروف لدى الأمة جميعاً. وأنه سيكون على رأس الصديقين.

كما تشير بكلمة [والشهداء] إلى عمر وعثمان وعلي (رضي الله عنه أجمعين) وتقيد إفادة غيبية أن هؤلاء الثلاثة سينالون الخلافة بعد الصديق رضي الله عنه، وأنهم سيستشهدون. مما يزيد فضيلة إلى فضائلهم.

وكما تشير بكلمة [والصالحين] إلى أصحاب الصفة وبدر، وبيعة الرضوان وتشوق بجملة [وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا] وبمعناه الصريح على أتباعهم وتبين جمال أتباع التابعين لهم وحسنه مشيرةً بالمعنى الإشاري إلى الحسن رضي الله عنه أنه خامس الخلفاء الأربعة، مصدقة حكم الحديث الشريف: "الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة" (٣) فمع قصر مدة خلافته فهي عظيمة الشأن (٤)،

(١) اللغات : ٣ / ٤٨ .

(٢) (سورة النساء/ الآية ٦٩)

(٣) أخرجه الترمذي، الفتن ٤٨؛ أبو داود، السنة ٩؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢٢٠/٥؛ ابن حجر، فتح الباري ٧٧/٨.

(٤) اللغات : ٣ / ٤٩

وأيضاً فالنورسي في اللمعة السابعة (التي تخص سبعة أنواع من إخبار الآيات المأخوذة من ختام سورة الفتح بالغيب)، و(تتمة) اللمعة السابعة ينص بقوله: "إن الإخبار الغيبي الذي تخبر به آيات ختام سورة الفتح بالمعنى الإشاري" ^(١) يشير إلى الآيات الثلاث في ختام سورة الفتح كنص من النصوص القرآنية التي تنفتح على آفاق غيبية وإعجازية واسعة، إذ لا يقتصر دلالتها على السرد التاريخي فقط، بل تتعداه إلى بيان سنن إلهية كلية، وإشارات كونية تُبرز انتظام الفعل الإلهي في بناء الأمة المؤمنة وتجلي النصر الرباني عبر مسار التاريخ.

ففي هذا الإطار يتناول بديع الزمان تلكم الآيات - الواردة في نهاية سورة الفتح - بوصفها حاملةً لطبقات متعددة من الإعجاز، من أبرزها الإخبار بالغيب في وقائع الفتح وما تلاه من تحولات كبرى في مسار الأمة، إذ هو يبرز عن سبعة أوجه من الإخبار الغيبي، تُظهر كيف تحوّل النص القرآني إلى رؤية مستقبلية شاملة تتجاوز حدود الزمان والمكان، كما أن دراسة تلك اللمعة تفتح أفقاً لفهم أعمق لوظيفة القرآن في بناء الوعي الإيماني والتاريخي، بوصفه خطاباً إلهياً محيطاً بالماضي والحاضر والمستقبل معاً.

قال تعالى: [لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا - هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا - مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا] ^(٢)

يقول الإمام النورسي: "هذه الآيات الثلاث في سورة الفتح لها وجوه إعجازية كثيرة جداً، فوجه من الوجوه الكلية العشرة لإعجاز القرآن هو الإخبار عن الغيب الذي يظهر في هذه الآيات الكريمة بسبعة أو ثمانية وجوه: ^(٣)

الوجه الأول: قوله تعالى: [لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ...] الخ. الآية تُخبر إخباراً قاطعاً عن فتح مكة قبل وقوعه، وقد فُتحت فعلاً بعد سنتين كما أُخبرت هذه الآية.

الوجه الثاني: قوله تعالى: [فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا] تنبئ هذه الآية أن صلح الحديبية وإن بدا ظاهراً أنه ليس في صالح المسلمين، وأن لقريش ظهوراً على المسلمين إلى حد ما، إلا أنه سيكون بمثابة فتح معنوي مبين، ومفتاحاً لبقية الفتوحات، وأن السيوف المادية وإن دخلت أعمادها في

(١) اللمعات : ٣ / ٤٥ .

(٢) سورة الفتح/ الآيات ٢٧-٢٩

(٣) اللمعات : ٣ / ٤١ .

الواقع إلا أن القرآن الكريم قد سلَّ سيفه الأمامي البارق وفتح القلوب والعقول، إذ بسبب الصلح اندمجت القبائل فيما بينها واختلطت فاستولت فضائل الإسلام على العناد، فمزقت أنوار القرآن حجب التعصب القومي الذميمة.

فمثلاً: إن داهية الحرب خالد بن الوليد وداهية السياسة عمرو بن العاص اللذين يابيان أن يُغلبا، غلبهما سيف القرآن الذي سطع في صلح الحديبية، حتى سارا معاً إلى المدينة المنورة وسلما الإسلام رقابهما، وانقادا إليه انقياد خضوع وطاعة حتى أصبح خالد بن الوليد سيف الله المسلول تفتح به الفتوحات الإسلامية.

سؤال مهم: إن صحابة الرسول الكريم، وهو حبيب رب العالمين وسيد الكونين ﷺ، قد غلبوا أمام المشركين في نهاية معركة أحد وبداية معركة حنين. فما الحكمة في هذا؟

الجواب: لأنه حينذاك كان بين المشركين كثيرون من أمثال خالد بن الوليد، ممن سيكونون في المستقبل مثل كبار الصحابة في ذلك الزمان، فلأجل ألا تكسر عزتهم كلياً اقتضت حكمة الله أن تكافئهم مكافأة عاجلة لحسناتهم المستقبلية، بمعنى أن صحابة في الماضي غلبوا أمام صحابة في المستقبل، لئلا يدخل هؤلاء -أي صحابة المستقبل- في الإسلام خوفاً من بريق السيوف، بل شوقاً إلى بارقة الحقيقة، ولئلا تذوق شهامتهم الفطرية الهوان كثيراً^(١).

الوجه الثالث: إن الآية الكريمة تخبر بقيد [لا تخافون] بأنكم ستدخلون البيت الحرام وتطوفون حول الكعبة بأمان تام، علماً أن معظم قبائل الجزيرة العربية ومن هم حوالي مكة المكرمة وغالبية قريش كلهم أعداء للمسلمين، فهذا الإخبار يدل على أنكم تدخلون في أقرب وقت المسجد، وتطوفون دون أن يداخلكم الخوف، وأن الجزيرة ستدين لكم بالطاعة، وقريش تكون في حظيرة الإسلام، ويعم الأمن والأمان. فوقع كما أخبرت الآية .

الوجه الرابع: قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] هذه الآية تخبر إخباراً قاطعاً أن الدين الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ سيظهر على الأديان كلها، علماً أن النصرانية واليهودية والمجوسية التي يعتنقها مئات الملايين من الناس كانت أدياناً رسمية لدول كبرى كالصين وإيران وروما، والرسول الكريم ﷺ لم يظهر بعد ظهوراً تاماً على قبيلته نفسها. فالآية الكريمة تُخبر عن ظهور دينه على الأديان كافة وعلى الدول كافة، بل تخبر عن هذا الظهور بكل يقين وجزم إخباراً قاطعاً. ولقد صدق المستقبل هذا الخبر الغيبي بامتداد سيف الإسلام من بحر المحيط الشرقي إلى بحر المحيط الغربي^(٢).

(١) المصدر نفسه .

(٢) اللغات : ٣ / ٤٣ .

الوجه الخامس: [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ].

هذه الآية صريحة في معناها من أن الصحابة الكرام هم أفضل بني الإنسان بعد الأنبياء عليهم السلام لما يتحلون به من سجايا سامية ومزايا راقية، وفي الوقت نفسه تبين ما تتصف به طبقات الصحابة في المستقبل من صفات ممتازة مختلفة خاصة بهم، كما تُبين بالمعنى الإشاري - لدى أهل التحقيق- إلى ترتيب الخلفاء الذين سيخلفون مقام النبي ﷺ بعد وفاته، فضلاً عن إخبارها عن أبرز صفة خاصة بكلّ منهم مما اشتهروا به.

وذلك فإن قوله تعالى: [وَالَّذِينَ مَعَهُ] يدل على سيدنا الصديق رضي الله عنه المتّصف بالمعيرة المخصوصة والصحبة الخاصة، بل بوفاته أولاً دخل ضمن معيته أيضاً.

كما أن قوله تعالى: [أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ] يدل على سيدنا عمر رضي الله عنه الذي سيهز دول العالم ويرعبهم بفتوحاته، وسيشتهر بعدالته على الظالمين كالصاعقة^(١)، وتخبر الآية بلفظ: [رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] عن سيدنا عثمان رضي الله عنه الذي لم يرض بإراقة الدماء بين المسلمين حينما كانت تتهاى أعظم فتنة في التاريخ، ففضّل بكمال رحمته ورأفته أن يضحى بروحه ويسلم نفسه للموت، واستشهد مظلوماً وهو يتلو القرآن الكريم.

كما أن قوله تعالى: [تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا] يشير إلى أوضاع سيدنا علي رضي الله عنه الذي باشر مهام الخلافة بكمال الاستحقاق والأهلية وهو في كمال الزهد والعبادة والفقر والاقتصاد، واختار الدوام على السجود والركوع كما هو مصدق عند الناس. فضلاً عن إخبارها أنه لا يكون مسؤولاً عن حروبه التي دخلها في تلك الفترة وفي المستقبل، والذي كان يبتغي فيها فضلاً من الله ورضواناً.^(٢)

الوجه السادس: [ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ] هذه الجهة فيها إخبارٌ غيبي بجهتين:

الجهة الأولى: أنها تخبر عن أوصاف الصحابة الواردة في التوراة، وهي في حكم الغيب بالنسبة لرسول أمي ﷺ إذ قد وُضح في "المكتوب التاسع عشر" أن في التوراة وصفاً لصحابة الرسول الذي سيأتي في آخر الزمان "معهُ أُلُوفُ الْأَطْهَارِ" في يمينه أو "معهُ رايات القديسين"^(٣) بمعنى أن أصحابه مطيعون وعبادٌ صالحون وأولياءٌ لله حتى يوصفون بالقديسين الأطهار.

فعلى الرغم مما طرأ من تحريفات كثيرة على التوراة بسبب ترجماتها العديدة لألسنة متنوعة، فإنها مازالت تصدق بآيات كثيرة، منها هذه الآية الكريمة في ختام سورة الفتح.. [مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ].^(٤)

(١) اللغات : ٣ / ٤٣

(٢) ينظر: المكتوبات : ٢ / ١٢٨ وما بعدها.

(٣) المكتوبات ٢ / ٢٠٠، والكتاب المقدس، العهد القديم، التثنية، باب: ٣٣ / ٢؛ وحجة الله على العالمين للنبهاني: ١١٣.

(٤) ينظر: اللغات : ٣ / ٤٥ والمكتوبات : ٢ / ٢٠٣-٢٠١

الجهة الثانية : من الإخبار الغيبي هي أن [مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ] تخبر عن أن الصحابة الكرام والتابعين سيبلغون مرتبةً من العبادة بحيث إن ما في أرواحهم من نور سيشرق على وجوههم وستظهر على جباههم علامةً ولايتهم وصلاتهم بكثرة السجود لله.

نعم، فلقد صدّق المستقبل هذا بكل يقين ووضوح وجلاء، فإن زين العابدين رضي الله عنه الذي كان يصلي ألف ركعة ليلاً ونهاراً، وطاووساً اليماني رضي الله عنه (رض) الذي صلى الفجر بوضوء العشاء طوال أربعين سنة، رغم الانقلابات السياسية والأوضاع المضطربة، وكثيرين كثيرين أمثالهما قد بينوا سراً من أسرار هذه الآية الكريمة: [مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ].^(١)

الوجه السابع: [وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ] هذه الفقرة أيضاً فيها إخبار غيبي بجهتين:

أولاهما: أن إخبار ما في الإنجيل من أوصاف الصحابة الكرام إخبار هي في حكم الغيب بالنسبة لرسول أمي ﷺ .

نعم، لقد وردت آيات في الإنجيل تصف الرسول الذي سيأتي في آخر الزمان، مثل: "ومعه قضيب من حديد، وأمته كذلك" بمعنى أنه صاحب سيف ويأمر بالجهاد هو وأصحابه كذلك أصحاب السيوف ومأمورون بالجهاد وليس كسيدنا عيسى عليه السلام الذي لم يكُ صاحب سيف. فضلاً عن أن ذلك الموصوف (معه قضيب من حديد) سيصبح سيد العالم، لأن آية في الإنجيل تقول: "سأذهب كي يجيء سيد العالم"^(٢) فنفهم من هاتين الفقرتين من الإنجيل: أن الصحابة الكرام وإن بدا عليهم في بادئ الأمر ضعفٌ وقلّةٌ إلا أنهم سينمّون نمو البذرة النابتة وسيعلّون كالنبات النامي الناشئ ويقوون حتى يغتاز منهم الكفار، بل يُرضخون العالم بسيوفهم فيثبتون أن سيدهم الرسول الكريم هو سيد العالم. وهذا المعنى الذي تفيد به آية الإنجيل هي معنى الآية في ختام سورة الفتح^(٣).

الوجه الثاني: تفيد هذه الفقرة أن الصحابة الكرام وإن كانوا قد قبلوا بصلح الحديبية، لقلّتهم وضعفهم آنذاك فإنهم بعد فترة وجيزة يكسبون بسرعة قوةً رهيبه،^(٤) ومن ثمّ يقول: "نعم، إن المستقبل قد بين هذا الإخبار الغيبي بأسطع صورة. وفي هذا الإخبار الغيبي إيماءٌ خفي أيضاً، وهو أنه لما أثنى على الصحابة الكرام لما يتحلّون به من خصال فاضلة مهمة، كان المقام يلزم وعدّ ثوابٍ عظيم ومكافأة جليلة لهم، إلا أنه يشير بكلمة "مغفرة" إلى أنه ستقع أخطاءٌ وهفوات مهمة من جراء فتن تحدث بين الصحابة، إذ المغفرة تدل على وجود تقصير في شيء، وحينذاك سيكون أعظم مطلوب لهم وأفضل إحسان عليهم

(١) اللغات : ٣ / ٤٣

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، يوحنا، باب: ٧/١٦؛ السيرة الحلبية للحلبي ٢١٤/١.

(٣) اللغات : ٣ / ٤٦.

(٤) اللغات : ٣ / ٤١.

هو المغفرة. لأن أعظم إثابة هي العفو، وعدم العقاب، والخلاصة: أن القرآن العظيم، حكيم يعطي لكل شيء قدره من المقام، ويرى القرآن من ثمرات الغيب التقدم الحضاري البشري قبل ألف وثلاثمائة سنة المستترة في ظلمات المستقبل، أفضل وأوضح مما نراها نحن وسنراها. فالقرآن إذن كلامٌ من ينظر إلى كل الأزمنة، بما فيها من الأمور والأشياء في آن واحد.. فتلك لمعة من الإعجاز القرآني، تلمع في وجه معجزات الأنبياء، اللهم فهِمنا أسرار القرآن ووفّقنا لخدمته في كلِّ آنٍ وِزْمَانٍ^(١).

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، وبعد؛ فقد أتاح هذا البحث الوقوف على ثراء معرفي واسع، وزاد وافرٍ من الحقائق الإيمانية والتربوية التي تزخر بها رسائل النور، لمؤلفها بديع الزمان سعيد النورسي، ويمكن إجمال أبرز النتائج فيما يأتي:

١- تثبت البحث أن القرآن الكريم يمثل المصدر الرئيس في فكر النورسي، ومنطلقه في بناء رؤيته التفسيرية، ويلاحظ أن المنهج العام لرسائل النور ليس إشارياً خالصاً، بل هو تفسير معنوي شهودي، تتخلله إشارات محدودة .

٢- تبين أن رسائل النور تمثل نمطاً تفسيرياً متميزاً للقرآن الكريم، يقوم على إبراز وجوه الإعجاز المعنوي والبرهاني، بمنهج يغيّر التفاسير التقليدية عامةً، والإشارية خاصةً؛ إذ يرتبط بمنطق العصر وحاجاته، ويُعنى بتأسيس اليقين الإيماني عبر الحجاج العقلي والنور المعنوي. وقد وصف النورسي الكردي رسائله بأنها : "برهان للقرآن الكريم وتفسير قيم له، ولمعة من لمعات إعجازه، وشعاع من شمس، في إشارة إلى طبيعتها الاستمدادية من فيض القرآن وهداياته".

٣- أظهر البحث أن منهج رسائل النور ليس تفسيراً إشارياً بالمعنى الاصطلاحي المحض، بل هو تفسير معنوي شهودي ذو أبعاد تربوية وإيمانية، تتخلله إشارات لطيفة دون أن يهيمن الطابع الإشاري على مجمله؛ مما يجعله أقرب إلى التفسير المقاصدي الذي يستهدف إحياء المعاني الإيمانية في النفوس .

٤- تبين أن منهج بديع الزمان سعيد النورسي التفسيري يرتكز على التكامل بين الدليل العقلي والحقيقة الإيمانية، بما يعزّز بناء اليقين .: "ان رسائل النور برهان للقرآن الكريم وتفسير قيم له، وهي لمعة براءة من لمعات إعجازه المعنوي ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كنز العلم وترجمة معنوية نابغة من فيوضاته"

٥- تبين أن القرآن الكريم شكّل محور المشروع الفكري للنورسي ومصدر إلهامه الأساس، إذ اتخذه منطلقاً للدراسة والتأمل منذ مرحلة مبكرة، حتى استقر على سلوك طريقه مباشرةً في معالجة قضايا الإيمان، متجاوزاً تشتت المسالك الفكرية إلى وحدة المنهج القرآني. فالنورسي الكردي قد ترك للعالم الإسلامي آثاراً قيمة باللغتين العربية والتركية في موضوعات الإيمان والعقيدة ومختلف العلوم العقلية والنقلية في رسائل بلغت أكثر من مئة رسالة .

٦- يُستنتج أن رسائل النور تمثل اتجاهاً تفسيريّاً قرآنيّاً معاصراً، يقوم على إبراز الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم بمنهج مغاير للتفسير التقليدي، ولا سيما الإشارية.، أن كتاب "إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز" يمثل الأساس المبكر لمشروعه التفسيري، مع تركيزه على إعجاز النظم .

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم ..

١. الإتيان في علوم القرآن: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي(ت/٩١١هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٩م.

٢. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت/٥٠٥هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت- لبنان.

٣. أصول الفقه الإسلامي في نسيجه الجديد: د. مصطفى إبراهيم الزلمي، ط/ الأولى، مركز عبادي، صنعاء/ اليمن ١٩٩٦م.

٤. أصول الفقه الإسلامي: د. وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، دار إحسان للنشر والتوزيع، طهران ١٩٩٧م.

٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني (ت/ ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٦. البرهان في علوم القرآن: الزركشي(ت/٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٩٨٨م.

٧. التبيان في علوم القرآن: محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٨. التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م

٩. تطور تفسير القرآن (قراءة جديدة): د. محسن عبدالحميد، من منشورات جامعة بغداد، بيت الحكمة ١٩٨٩م.

١٠. التعريفات: السيد علي بن محمد شريف الجرجاني(ت/٨١٦هـ)، مطبعة مكتبة لبنان، بيروت ١٩٦٩م.

١١. التفسير الإشاري ماهيته وضوابطه: أ.د. مشعان سعود العيسوي، دار الكتب العلمية ٢٠١٧.
١٢. تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت/ ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت ط/ الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٣. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت/ ٣٣٣هـ).
١٤. التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، مكتبة بن مصعب بن عمير الإسلامية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.
١٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية: ابن حجر العسقلاني (ت/ ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد جاد الحق، مطبعة المدين، دار الكتب الحديثة.
١٦. سنن الترمذي: الجامع الصحيح: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تح: أحمد محمد شاکر وآخرون. دار إحياء التراث - بيروت .
١٧. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت/ ٢٧٥هـ)، مراجعة: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر.
١٨. سنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن (ت/ ٣٠٣هـ)، مراجعة: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٩٨٦م.
١٩. صحيح البخاري - الصحيح المختصر - محمد بن إسماعيل البخاري (ت/ ٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة ١٩٨٧م.
٢٠. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت/ ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت - ١٩٥٤م.
٢١. العقائد النسفية: مسعود بن عمر التفتازاني (ت/ ٧٩٣هـ)، طبعة الأستانة، أستانبول، أعيد طبعه بالأوفسيت في مطبعة دار البصري، بغداد ١٩٦٩م.
٢٢. علوم القرآن عند الشاطبي من خلال (الموافقات): محمد سالم أبو عاصي: دار البصائر - القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
٢٣. الكتاب المقدس!: العهد الجديد، يوحنا .

٢٤. الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي (مجموعة كليات رسائل النور): ترجمة إحسان قاسم الصالحي ط/٧ ، دارسوزلر القاهرة ٢٠١٤.
٢٥. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري (ت/٧١١هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان.
٢٦. اللغات بديع الزمان سعيد النورسي (مجموعة كليات رسائل النور): ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط/٧ ، دارسوزلر القاهرة ٢٠١٤.
٢٧. المثنوي العربي النوري : بديع الزمان سعيد النورسي (مجموعة كليات رسائل النور)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط/٧ ، دارسوزلر القاهرة ٢٠١٤.
٢٨. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
٢٩. محاسن التأويل: محمد جمال الدين الحلاق القاسمي (ت/ ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية -بيروت ط/ ١٤١٨هـ
٣٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة مصر (بد.ط.مط).
٣١. مشكاة الانوار : أبو حامد الغزالي ، تحقيق د. أبو العلا العفيفي ، الدار القومية القاهرة ١٩٦٤م ١٣٨٣هـ
٣٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي: إنتشارات إحسان. ط/ الثانية ١٣٧٦. ق.م
٣٣. معجم المؤلفين -تراجم مصنفی الكتب العربية-: عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م.
٣٤. مفردات ألفاظ القرآن الكريم : الحسين بن محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم دار القلم. دمشق .
٣٥. المكتوبات : بديع الزمان سعيد النورسي (مجموعة كليات رسائل النور) ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط/٧ ، دارسوزلر القاهرة ٢٠١٤.

٣٦. الملاحق : بديع الزمان سعيد النورسي (مجموعة كليات رسائل النور) ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط/٧ ، دارسوزلر القاهرة ٢٠١٤.
٣٧. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني، التخريج ووضع الحواشي: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.
٣٨. منهج ابن تيمية في التفسير: د.سعدى احمد زيدان أطروحة الدكتوراه بإشراف د.محسن عبد الحميد.
٣٩. المنهج الإشاري في تفسير الإمام القشيري: د. رانيا محمد عزيز مطبعة سامي الاسكندرية .
٤٠. الموافقات للإمام الشاطبي (ت/ ٧٩٠هـ): إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
٤١. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، مؤسسة التأريخ العربي، مطبعة وكالة المعارف، أستانبول ١٩٥١، أوفسيت، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
٤٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان(ت/٦٨١هـ)، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٩٤م.